فلسفة الكلمة

فـــى

الفكر المسيحى

د / سعد خلف عبد الوهاب

بسم الله الرحمن الرحيم

فلسفة الكلمة فى الفكر المسيحى

المقدمـــــة:

الحمد لله الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. سبحانه وتعالى ما اتخذ من ولد وما كان معه من اله وخلق كل شىء فقدره تقديراً. وأصلى وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعـــــد

لم يكن الحديث عن الكلمة قاصراً على العقيدة المسيحية فحسب رغم تاريخها وأصولها الفلسفية أقدم بكثير من تاريخ المسيحية فقد عرفت الكلمة فى معظم أديان العالم القديمة، أمثال الديانة المصرية القديمة التى زعمت أن كلمة الله تتقمص أجساد الحيوانات المختلفة لتجول بين الناس وترصد حركاتهم وأعمالهم. كما أنهم زعموا أنها هى أساس الحياة فى الوجود. وقد رمزوا إليها أحيانا بالشمس التى تمدنا بالحرارة والنور والنفع للإنسان والحيوان والنبات وجعلوا ابن الله حورس هو إله الشمس[1].

كذلك أيضاً نرى الكلمة الإلهية فى الديانات الهندية القديمة التى عبرت عن كلمة "رب (بملاك النار) التى تخرج منه الحرارة كما أنه هو ابن الله الوحيد[2]، وفى الصين عبر عنها بفكرة (التاو) الذى هى منشىء جميع ما فى الكون[3] وفى الديانة اليهودية عرفت الكلمة باسم – اللاغوس[4] – أو العقل الكونى الخالق لجميع ما فى الوجود.

---

(١) راجع أديان العالم ص ٣٦، ٣٧ باختصار وتصرف حبيب سعيد.

(٢) راجع القوى الخفية ص ٢١١ – إبراهيم سعيد – القاهرة – طبعة القاهرة ١٩٧٧.

(٣) راجع حكمت الصين جـ ١/ ٢١٤ – أحمد فؤاد.

(٤) اللاغوس: هو الوسيط الذى خلق الله به العالم والذى تعرف الله به والذى يشفع لنا عند الله، المعجم الفلسفى ص ٣٧٠ د/ مراد وهبه ـــ وعند هيرقليطس هو القوة العاقلة التى تسيطر على الكون وتدبره وتسرى فيه لذا فهو أزلى وإن كان مساوياً للعالم فى أزليته إلا إنه أقدم منه بالذات والمرتبة إذ أنه المسيطر على هذا العالم والمدبر له ـــ انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٩ يوسف كرم.

ثم تدرج الحديث عن الكلمة الإلهية فى نطاق واسع وأصبح يمثل جزءاً هاماً فى العقيدة المسيحية فهى حجر الزاوية ومركز الدائرة التى تفلسف حولها المتفلسفون وكثرت حججهم وإن كانت واهية إلا أنها تركت أثراً سيئاً جعل الحليم منهم حيراناً. حيث إنهم نظروا إلى الكلمة نظرة إذدراء وتقديس وأعطوها من الخصوصيات ما يجعلها تماثل ظل الإله فى الأرض فوصفوها بأنها صورة الله. وأنها قديمة أزلية وأنها هى التى خلقت الموجودات منذ القدم، وأنها هى التى ستحاسب الناس يوم القيامة.

وقد وصفوا المسيح عليه السلام بها باعتباره حلق بكلمة الله وجعلوه - أول الخليقة لأنه كان فى الأزل هو الكلمة التى أوجدت العالم. فالله لم يخلق العالم وإنما الذى خلقته الكلمة، وقد تداولت اللسنة علمائهم ومفكريهم بهذا الزعم وأصبحت الكلمة هى محور عقيدتهم، ومن أجلها وضعوا أناجيلهم. كما فعل يوحنا. وجمعوا جموعهم بقيادة ملوكهم وأحبارهم ورهبانهم ليقفوا على حل لقضية الكلمة ويتعارض مع العقل.

وفيما يلى عرض لفلسفة الكلمة فى الفكر المسيحى.

مفهوم الكلمة فى اللغة والاصطلاح

أولاً: مفهوم الكلمة فى اللغة:

الكلمة مفردة تجمع على الكلم أو الكلام مثل نبقه، ونبق، لذا قال ابن منظور: "والكلمة اللفظية حجازية وجمعها كلم تذكر وتؤنث...". قال ابن منصور: "والكلمة تقع على الحرف الواحد من حروف الهجاء، وتقع على لفظة مؤلفة من جماعة حروف ذات معنى، وتقع على قصيدة بكاملها، وخطبة بأسرها يقال قال الشاعر فى كلمته (أى قصيدته).

لذا عبر عنها الجوهرى بقوله: "الكلمة القصيدة بطولها وتكلم الرجل تكلماً وتكلاماً - وكلمة كلاما جاءوا به على موازنة الأفعال وكالمة ناطقة وكليمك الذى يكالمك.

وجاء فى التهذيب أيضاً: كلمته تكليما وكلاماً مثل كذبته تكذيبا وكذابا وتكلمت كلمة وبكلمة وما أجد متكلما يفتح موضعا للكلام، ومنه قوله تعالى: {وكلم الله موسى تكليماً...} وقوله: {وجعلها كلمة باقية فى عقبه}[1] قال الزجاج عنى بالكلمة هنا كلمة التوحيد وهى لا إله إلا الله جعلها باقية فى عقب إبراهيم لا يزال من ولده من يوحد الله عز وجل تكلام وتكلامة... وكلماتى[2].

وجاء أيضاً فى التهذيب "بكلمة منه اسمه المسيح. قال أبو منصور: سمى الله ابتداء أمره كلمة لأنه ألقى إليها الكلمة ثم كون الكلمة بشراً، ومعنى الكلمة معنى الولد والمعنى (يبشرك بولد اسمه المسيح). وقال الجوهرى: "وعيسى عليه السلام كلمة الله لأنه لما انتفع به فى الدين كما انتفع بكلامه سمى به كما يقال فلان سيف الله وأسد الله"[3].

بناء على ما سبق نرى أن الكلمة فى اللغة تطلق على كل اسم سمى به الإنسان أو الحيوان أو الجماد. أما عن الكلمة فى القرآن الكريم فهى صفة الله تعالى القديمة القائمة بذاته تعالى[4].

---

(١) سورة الزخرف الآية رقم (٢٨)

(٢) أنظر لسان العرب مادة كلم ص ٥/ ٣٩٢٢/ ٢٩٢٣ لابن منظور - طبعة دار المعارف.

(٣) تهذيب اللغة مادة كلم لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى - تحقيق عبد العظيم محمود - طبعة القاهرة.

(٤) انظر الجواب الصحيح جـ ١٤٣/٢ لابن تخطئ.

ثانيا: وفى الاصطلاح تطلق الكلمة عند علماء الكلام على خمسة معانى:

١ -باعتبار دلالتها على طلب الفعل أمر.

٢ -وباعتبار دلالتها على طلب الترك نهى.

٣ -وباعتبار دلالتها على معنى مطابق للواقع خبر.

٤ -وباعتبار دلالتها على ثواب مستقبل وعد.

٥ - وباعتبار دلالتها على وقوع عذاب مستقبل وعيد[١].

وبناء على ذلك القول يكون مفهوم الكلمة الإلهية هى الكلمة الدالة على الأمر والنهى والخبر والوعد والوعيد.

يذكر العقاد: إن معظم البلاد الشرقية قد تحدثت عن الكلمة الإلهية فيقول: فقد اتفقت مصر وبابل والهند على أن الإله الأكبر قد خلق الأرض بكلمة ساحرة إذ أمرها أن توجد فبرزت على الفور إلى حيز الوجود[٢].

وعرفت عند الصينيين باسم "التاو" وهو الكائن الكامل القائم بذاته قبل ظهور الكون والذى بتخلل كل شىء فمنها نشأ جميع ما فى الكون.

(.... إنها المبدأ الأزلي أو القانون العام الذى يسير الكون والإنسان على السواء)[٣].

وقد عرفت الكلمة الإلهية لدى بعض فلاسفة اليونان (باسم اللوجوس) وقد تحدث عنها هيرقليطس[٤] "باعتبارها مبدأ الأحداث الكونية التى ترتبط بفكرة الأدوار اللا متناهية التى تتعاقب على الوجود فالدورة الوجودية تبدأ بانبثاق الكائنات من النار وتنتهى بأن تعود إليها والأحداث فى كل دور تكون هى عينها التى تكون فى الأدوار السابقة والتى ستكون فى

---

(١) أنظر حاشية أم البراهين الصغرى ص ١١٠.

(٢) الله ص ٧٤ للعقاد - مكتبة النهضة المصرية

(٣) حكمت الصين جـ ١/ ٢١٤ - فؤاد محمد شبل - القاهرة - ١٩٦٧.

(٤) ولد هيرقليس حوالى عام ٥٣٥ ق.م عاش حتى سن الستين من عمره حيث توفى عام ٤٧٥ ق.م، تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٦٩، وولتر سيس ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد

الأدوار اللاحقة وتتعاقب هذه الأدوار إلى مالا نهاية وهذا التكرار اللا نهائى لـــهذه الأدوار يتم بموجب قانون ذاتى ضرورى هو اللوجوس[١].

بناء على ما تقدم نستنتج أن اللوجوس عند اليونانيين هو القانون الكونى العام الـــذى يحكم الوجود وينظمه ويديره كما أنه هو مبدأ الخلق . وأساس التغير الدائم فى الكون.

وتطلق الكلمة الإلهية عند (انكساغوراس)[٢] على (النوس) فـــورد عنـــه قولـــه "والعقـــل (النوس) نفس تصدر عنها نفوس[٣].

وقد أثرت آراء هيرقليطس وانكساغوراس فى المدرسة الرواقية إذ أننـــا نـــرى أحـــد زعمائها المسمى (زينون)[٤] يرى أن العالم كائن عاقل فيقول: "إن من له عقل خير ممـــن ليس له عقل ولكن ليس شىء خيرا من هذا العالم إذن فالعالم له عقل"[٥].

ويقول الدكتور/ عثمان أمين "إن الرواقيين قد تبنوا القول بمعقولية الطبيعة إذ قالوا أن العقل الكلى هو الذى يسيطر على العالم ويدبره إلا أنهم مع ذلك لم يجعلوه كائنـــا مفارقـــاً للعالم كما فعل ذلك إنكساغوراس فيما يتعلق بالنوس، بل قالوا إنه منبث فيه منتشر فى كـــل جزئياته. والعقل الكلى (اللوجوس) من حيث هو حاكم للعالم ومدبر له يســـميه الرواقيـــون "القدر" أو القانون الكونى الذى يحكم الكائنات، فالقدر هو العقل الكلى من حيث هـــو علـــة عامة لجميع الموجودات، ومن حيث إنه يحدث التسلسل فى العلل الخاصة الجزئية[٦].

---

(١) راجع تاريخ الفلسفة اليونانية ص ١٨ يوسف كرم، وانظر الفلسفة الإغريقية ص ٧٢١ محمد غلاب.

(٢) انكساغوراس ولد فى أسيا الصغرى ٥٠٠ ق.م من أسرة نبيلة يملك ثروة طائلة وقد أهمل أملاكه سعيا من أجل المعرفـــة وسعيا من أجل العلم والفلسفة ، تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٨٧، وولتر ستبس.

(٣) راجع تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٤٣ يوسف كرم.

(٤) زينون ولد بمدينة كتيوم بجزيرة قبرص حوالى ٣٣٦ ق.م وتردد زينون على المدارس الفلسفية اليونانية زهاء عشرين عامـــاً ولما أصاب منها بغيته أتخذ لنفسه مجلساً للتعليم مستقلاً، اختار له رواقا فى أثينا كان فيما مضى منتدى للأدباء والشـــعراء، ومن هنا دعى وأصحابه بالرواقيين وقد استمر زينون يلقى تعاليمه على اتباعه إلى أن توفى منتحراً عام ٢٦٤ ق.م لامتناعه عن الطعام معتقداً أن الانتحار مشروع مع أنه يخالف منطق المذهب، وقد مات عن عمر يناهز الثمانية والتســـعين عامـــا تقريباً، تاريخ الفكر الفلسفى جـــ ٢/ ٢٧٤، محمد على أبو ريان، طبعة دار المعرفة الجامعية ١٩٨٤.

(٥) الفلسفة الرواقية ص ١٨٩ عثمان أمين.

(٦) الفلسفة الرواقية ص ١٥٩ عثمان أمين.

أما عن مفهوم الكلمة الإلهية فى العقيدة اليهودية فهى بمعنى القوة الفاعلة ويؤيد ذلك ما ورد فى بداية سفر التكوين الذى يفتتح كل فصل من فصول قصة الخلق بالقول (وقال الله)[١] – وفى سفر المزامير جاء فيه "بكلمة الرب صنعت السموات"[٢] وفى اشعياء – يقول الله "هكذا تكون كلمتى التى تخرج من فمى لا ترجع إلىَّ فارغة بل تعمل ما سررت به وتنجح فيما أرسلتها إليه"[٣].

فالكلمة هنا تنبعث من فم الإله منفذة لإرادته باعتبارها مبعوثه المطلق ذا القوة التامة والفاعلية المطلقة.

إذن فالخالق هو الله والكلمة وسيلة الخلق .

---

(١) سفر التكوين ١/٣، ٦، ١١.

(٢) المزامير ٣٣/٦.

(٣) اشعياء ٥٥/١١.

أولا: فلسفة الكلمة عند القديس بولس[١]

إن الباحث فى تاريخ العقيدة المسيحية يستطيع أن يؤكد أن القديس بولس هو المؤسس الحقيقى للمزاعم التى ترددت عن الكلمة لدى المسيحيين، فقد احتوت رسائله حديثا مطولا عن الكلمة الإلهية وعبر عنها بتعبيرات كثيرة، يقول فى رسالته إلى العبرانيين: "إن الكلمة كانت لدى الله سرا مكنونا منذ الأزل، إنها صورة الله (أو هى الله نفسه) أو ابنه الوحيد، كما أنها علة خلق الكون وتدبيره، ومصدر وحى الأنبياء والرسل، لأن كلمة الله حية وفعالة ومميزة لأفكار القلب، بل إن هذا الوحى الذى جرى على لسان

---

(١) بولس اسمه الحقيقى شاول – ومعناها (المطلوب) وأما بولس فلقبه ومعناه الصغير – أما عن مولده فكان فى طرسوس – وتربى فى أورشليم وذلك عام ٤ ميلادية وقيل ٥ ميلادية، وقد كان أبوه من الفريسيين لذا نشأ بولس على مبادئ هذه الفرقة الدينية المتحمسة وتربى بولس على مبادئ الفلسفة اليونانية ودرس لغتها. أنظر قاموس الكتاب المقدس ص ١٩٦، بطرس عبد الملك.

وقد ورد فى سفر أعمال الرسل ما يؤيد ذلك ففى الإصحاح ٢٢ فقرة أربعة يذكر أن بولس كان على علم ودراية بكل ما يدور حوله فقد عرف طباع سكان العالم الواسع الرومان القساة واليونانيين المثقفين، واليهود المتعصبين، والعبيد والبرابرة والأحرار صار عارفا بكل ما يمس الحياة الثقافية فى عصره.

ويقول الشيخ أبو زهرة: "ومهما يكن من أمر جنسه فقد كان بولس هذا فى صدر حياته من أشد أعداء المسيحية، وابلغهم كيدا لهم، وأكثرهم إمعانا فى أذى معتنقيها... لذلك عندما دخل بولس المسيحية وحاول أن يتصل بتلاميذ المسيح ولكنهم أوجسوا منه خيفة، ولم يصدقوا إيمانه ولكن شهد له برنابا بالإيمان... ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة والحركة الدائبة فى الدعاية للمسيحية، كما تدل على ذلك عبارات سفر الأعمال، وقد اصطحب فى رحلاته برنابا حتى اختلفا... فلما اختلفا افترقا. محاضرات فى النصرانية ص ٨٥، ٨٦.

ويذكر أيضا أن بولس أخذ فى التطواف فى الأقاليم ينشئ الكنائس، ويقوم بالدعاية ويلقى الخطب، وينشئ الرسائل، حتى كانت رسائله هى الرسائل التعليمية بما اشتملت عليه من مبادئ فى الاعتقاد، وبعض الشرائع العملية. المصدر السابق نفسه.

أما عن صفات بولس فيقول الشيخ أبو زهرة: (١) إنه كان نشيطا دائم الحركة ذا قوة لا تكل وذا نفس لا تمل، (٢) إنه كان... شديد الذكاء بارع الحيلة قوى الفكر يدبر الأمور لما يريد بدهاء... وذكاء يسدد الهام لغاياته ومآربه، فيصيبها. (٣) إنه كان شديد التأثير فى نفوس الجماهير، قوى السيطرة على أهوائهم، قدير على انتزاع الثقة به ممن يتحدث إليه وبهذه الصفات الممتازة، وبهذه القدرة البارعة استطاع أن يجعل نفسه محور الدعاة للمسيحية وقطبهم. المصدر السابق.

رسائله أربعة عشر رسالة كتبت باليونانية فى عصور مختلفة من سنة ٤٥ ميلادية حتى سنة ٦٥ ميلادية قتل فى عهد الملك (نيرون) عام ٦٤ ميلادية انظر قصة الحضارة – جـ ١١/ ٢٦٨ ول ديورانت.

الرسل ما هو إلا تعبير عنها، ثم تجلت أو ظهرت أخيراً فى شخص يسوع المسيح الذى يعتبر كلمة الله إلى جميع الأمم، تلك الكلمة التى ستحقق الخلاص للبشرية جمعاء عن طريق كلمات المسيح التى تعتبر مظاهر للكلمة الأولية التى تغير النفوس وتهديها سواء السبيل، وكذلك عن طريق صلب المسيح (الكلمة المتجسدة) فداء عن البشرية ليخلصها من الخطيئة التى التصقت بها منذ عهد آدم[1].

فبولس يزعم أن كل إنسان يولد من بطن أمه مذنبا لأن خطيئة أبويهما الأصلية متداخلة فى طبيعته لأنها بها أصبح الذنب الذى ارتكبه عندما أكل هو وزوجه من الشجرة فى جميع أفراد الإنسان فكلهم تلحقهم الخطيئة لذلك جسد الله كلمته فى شخص المسيح لتكون فداء يخلص البشرية من خطيئة أبيهم آدم.

فبولس بقوله هذا يجعل الكلمة الإلهية سرا من أسرار الله أكنها أزلاً ولم يظهرها لأحد من خلقه حتى حان وقت ظهورها فى شخص المسيح.

كذلك يصور لنا بولس أن هذه الكلمة هى صورة الله – أو هى الله نفسه.

ثم ينطلق بعد ذلك فيعطى للكلمة خاصية الإله، ناسباً إليها الخلق والتدبير والتصيير فبها يتم كل شىء فى الكون من إحياء وإماتة، وقبض وبسط، وتصريف وتدبير حتى إرسال وحى الأنبياء والرسل يكون من خلالها، فليست هى مصدر الوحى وفقط بل هى الوحى ذاته الذى جرى على لسان أنبياء الله ورسوله ويعتقد بولس بقدم "الكلمة" وبتعاقبها حينما جعلها الوحى الذى جرى على لسان الأنبياء السابقين ثم انتهى بها التعاقب حينما ظهرت فى شخص يسوع المسيح.

لذا اعتقد ولا يزال يعتقد الكثير من كتاب النصارى أن الابن يسوع لايعنى به الولادة البشرية، ولكنها تصف سرية فائقة بين أقنوم وآخر فى اللاهوت الواحد، ولما أراد الله أن يفهمنا تلك النسبة لم تكن عبارة أنسب من الابن للدلالة على المحبة والوحدة فى الذات، والأمانة للمشورة الإلهية، وأما من حيث الولادة البشرية فالله منزه عنها، لأجل هذه

---

(١) انظر رسالة بولس إلى العبرانيين ١/١، ١٢،٤، وكذلك رسالة بولس إلى أهل كورنوس ٦/٨.

الإيضاحات علم خدام الدين المسيحى واللاهوتيون حسب ما قررته الكلمة الإلهية أن فى اللاهوت ثلاثة أقانيم، حسب نص الكلمة الأزلية ولكل منهم عمل "خاص" فى البشر(١).

الكلمة هى سر التقوى لدى بولس

ومن وظائف الكلمة الإلهية لدى بولس – أنها هى سر التقوى فمن غيرها لا تتحقق التقوى – فإذا آمن المرء بالكلمة انبعث فى روحه نور يتلألأ فى أنحاء جسده – لذا نراه يقول: "وبالإجماع عظيم هو سر التقوى .. الله ظهر فى الجسد وتبرز فى الروح"(٢).

فهو بقوله هذا يزعم أنه قد أجمع المسيحيون على أن الكلمة هى سر التقوى التى تملأ القلوب نوراً ينير أنحاء جسد المسيح الابن كما أنها (تغوط) فى الروح فنور الكلمة لم يقتصر على الجسد بل أنه يعم الروح المسيح. بناء على ذلك تكون الكلمة خالصت روح المسيح وجسده.

وفى موطن آخر يقول: "الله بعد ما كلم الآباء بالأنبياء قديما بأنواع وطرق كثيرة كلمنا فى هذه الأيام الأخيرة فى ابنه الذى جعله وارثاً لكل شىء الذى به أيضاً عمل العاملون الذى هو بهاء مجده، ورسم جوهره، وحامل كل الأشياء بعد ما ضحى بنفسه تطهيراً لخطاياناً جلس على يمين العظمة فى الأعالي صائراً أعظم من الملائكة بمقدار ما ورث اسماً أفضل منهم، لأنه من الملائكة من قال أنت ابني أنا اليوم ولدتك وأيضاً أنا أكون له أباً وهو يكون لى أبناً"(٣).

فالكلمة الإلهية لدى بولس وارثة – لكل المعارف – فبها يتقرب العاملون وبها يقبل عملهم – فهى بهاء المجد، وهى الذات وهى حاملة كل الأشياء ومن أجلها ضحى المسيح بنفسه لكى يطهر الخطأ الذى ارتكبته البشرية. وبفضلها جلس المسيح على يمين العظمة، وبها أصبح أفضل من الملائكة.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١١٨.

(٢) رسالة بولس الأولى التى تموثاوس – الإصحاح رقم ٣ الآية ١٦.

(٣) رسالة بولس إلى العبرانيين – الإصحاح السادس.

الكلمة الإلهية تجعل المسيح ديان العالم

من الوظائف التى وسم بها بولس الكلمة الإلهية أنها تعطى للمسيح من الصلاحية أنه هو الذى يحاسب العالم يوم القيامة لأنه يجلس على يمين العظمة يقول بولس: "فان كنتم قد قمتم مع المسيح فاطلبوا ما فوق المسيح جالس عن يمين الله"[١].

فلا ريب أن بولس جرد الذات الإلهية من أدق حقوقها وهى محاسبة المذنبين على أعمالهم مضيفا تلك المحاسبة إلى كلمته الأزلية – المشخصة فى المسيح.

تجسد الكلمة لدى بولس:

إن تجسد الكلمة فى شخص المسيح طبقا لأقوال بولس عبارة عن حلول اللاهوت فى الناسوت أو حلول الكلمة الأزلية التى هى ابن الله وصورته وبهاء مجده فى شخص يسوع المسيح[٢].

وينبغى الإشارة هنا إلى حقيقة هامة، وهى أن هذه النظرية لدى القديس بولس يبدو عليها الطابع التلفيقى ظاهرا ويتأكد لنا ذلك جليا إذا علمنا أن هذا الطابع كان سمة العصر الذى وضعت فيه أصول هذه النظرية لدى القديس بولس، تلك الأصول التى ترتكز على الاعتقاد بألوهية المسيح وفكرة الفداء، والدينونة، أضف إلى ذلك أن بولس كان على علم بالثقافات الشائعة آنذاك.

وكما بينا – فى معرض حديثنا عن مفهوم الكلمة أن الديانات القديمة تحدثت عنها – فالديانة المصرية القديمة قالت بلاهوت الكلمة وأن كل شىء صار بواسطتها وإنها منبثقة من الله[٣] كما أنها عرفت فى العقيدة اليهودية. وعبر عنها (فيلون)[٤] اليهودى باللاجوس

---

(١) رسالة بولس إلى أهل كولوسى – إصحاح ٣ آية ١.

(٢) المصدر السابق الإصحاح الثانى / آيه ٩

(٣) انظر، الدين المقارنة جـ ٢/٦١ – أحمد الحلوانى.

(٤) فيلون اليهودى يعد أكبر مثقف باليونانية فى عصره وهو من يهود الإسكندرية وبها ولد وعاش وتعلم. أسرته من أكبر الأسر ثراء فى الإسكندرية كان أكثر اليهود تأثرا بالثقافة الهلينية "الغنوصية" توفى عام ٥٠م، انظر الموسوعة النقدية للفلسفة اليهودية ص ١٦ عبد المنعم الحفنى.

- وفى الفكر اليونانى القديم بالعقل الكلى لذلك تشربت النصرانية كثيراً من الآراء والأفكار الفلسفية اليونانية والأفكار الدينية القديمة على يد بولس الذى أدخل الكثير من فلسفة الإغريق ليجذب أتباعاً له من اليونان، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاة وقد انحاز الكثير من فلاسفة الإغريق إلى ديانة بولس وعمد كذلك ليرضى المثقفين اليونان فاستعار من فلاسفة اليونان... فكرة اتصال الإله بالأرض عن طريق الكلمة[١].

تعقيب ونقد على مزاعم بولس

أولاً: نقد زعم بولس لمسألة تطهير خطيئة آدم بالكلمة :

حيث زعم " أن الكلمة هى التى ستحقق الخلاص للبشرية جمعاء عن طريق كلمات المسيح التى تعتبر مظاهر الكلمة الأزلية التى تنير النفوس وتهديها سواء السبيل عن طريق صلب المسيح الكلمة المتجسدة " فداء عن البشرية ليخلصها من الخطيئة التى التصقت بها منذ عهد آدم . [٢].

فنقول له ماذا تقصد بالإله الأزلي؟ ولما خلصكم؟ وممن خلصكم؟ وكيف استقل بخلاصكم دون الآب والروح والربوبية بينهم؟ فإن زعموا أن الخلاص من تكاليف الدنيا وهمومها، أكذبهم الحس. وإن كان من تكاليف الشرع، وأنهم قد حط عنهم الصلاة والصوم مثلا، أكذبهم المسيح والحواريون (بما شرعه) عليهم من التكاليف، وإن زعموا أنهم قد خلصوا من أحكام الدار الآخرة. فمن ارتكب محرماً منهم، لم يؤاخذ، أكذبهم الإنجيل والنبوات "إذ يقول المسيح فى الإنجيل: إنى أقيم الناس يوم القيامة عن يمينى وشمالى، فأقول لأهل اليمين فعلتم كذا وكذا فاذهبوا إلى النعيم المعد لكم قبل تأسيس الدنيا. وأقول لأهل الشمال: فعلتم كذا وكذا فأذهبوا إلى العذاب المعد لكم قبل تأسيس العالم[٣].

---

(١) انظر ديانات العالم ص ٧٠ بتصرف. حبيب سعيد

(٢) رسالة بولس إلى أهل كورنيشوس ٦/٨.

(٣) انظر الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ص ٩٦، ٩٧. الألوسى البغدادى

كذلك أيضا نقول له: "ألم يكن آدم تاب وأناب أم لا؟ فإن قال نعم بطل القول بالصلب... كما أننا نقول له: "ألم يكن الفداء بابن الصلب (هابيل أولى من المسيح عليه السلام)[١].

كذلك نقول له: لقد زعمت أن الكلمة الإلهية قديمة أزلية وقصدت بها المسيح أنه اله قديم[٢].

ألم يكن فداء البشر بالبشر أولى من فداء البشر بإله قديم الذى هو المسيح عليه السلام[٣].

كذلك أيضا ليس من العدل أن يترك المسىء وهو (آدم) ويعاقب المسيح وهو برئ على ذنب لم يرتكبه وقد جاء فى سفر حزقيال: "النفس التى تخطئ هى تموت الابن لا يحمل من إثم الأب والأب لا يحمل أثم الابن بر البار يكون عليه وشر الشرير يكون عليه[٤].

وثنية قصة الصلب والفداء التى قال بها بولس

إن الدارس للأديان الهندية القديمة يجد أن هناك صلة وثيقة بما زعمه بولس وبأفكار هذه الأديان وخاصة مسألة الصلب والفداء . وهذا ما يدل على أن بولس مزج العقيدة المسيحية التى جاء بها المسيح بعقائد الأديان القديمة

---

(١) انظر الأجوبة الفاخرة ص ٢٩٩ باختصار وتصرف العراقى، طبعة بيروت. هذا الكلام ورد فى إنجيل متى الإصحاح التاسع عشر: حيث ذكر متى ما يدل على يوم القيامة ردا على فرقه الصدوقيون الذين ينكرون يوم القيامة حينما سألوه عن المرأة التى مات زوجها وتزوجت سبع رجال أيهم تكون زوجه له يوم القيام فأجاب يسوع وقال لهم تضلون إذ لا تعرفون الكتب ولا قوة الله لأنهم فى القيامة لا يزوجون ولا يتزوجون بل يكونون كملائكة الله فى السماء أما من جهة قيامة الأموات أفما قرأتم ما قيل لكم من قبل الله القائل أن اله إبراهيم وأله إسحاق واله يعقوب ليس الله اله أموات بل اله أحياء فلم سمع الجموع بهتوا من تعليمه، انظر إنجيل متى الإصحاح التاسع عشر آيه ١٦: ٢١. وفى إنجيل يوحنا الإصحاح الخامس (قال: يسوع فإنه تأتى ساعة فيها يسمع جميع الذين فى القبور صوته فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونه. أنا لا أقدر أن افعل من نفسى شيئا كما اسمع أدين ودينونتى عادله، لأنى لا اطلب مشيئتى بل مشيئة الأب الذى أرسلنى.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) المصدر السابق نفسه.

(٤) سفر حزقيال الإصحاح ١٨/ ٢٠ – الكتاب المقدس.

يقول الدكتور عبد الوهاب النجار: "إن تصور الخلاص بواسطة تقديم أحد الآلهة نفسه ذبيحة فداء عن الخطيئة قديم العهد جدا عند الهنود الوثنين وغيرهم.... إذ أنهم يعتقدون أن كرشنا المولود البكر الذى هو نفس الإله فشنوا الذى لا ابتداء له، ولا انتهاء على رأيهم تحرك حنوا[١] كى يخلص الأرض من ثقل حمايها فأتاها وخلص الإنسان بتقديم نفسه ذبيحة عنه[٢].

كذلك أيضا جاء عنهم: "أنهم صوروا كرشنا مصلوبا كما هو فى كتاب الهنود مثقوب اليدين والرجلين وعلى قميصه صورة قلب الإنسان معلقا ووجدت له صورة مصلوبا وعلى رأسه إكليل من الذهب. والنصارى تقول أن يسوع صلب وعلى رأسه إكليل من الشوك[٣].

ويذكر أيضا: "هورينوليمس" فى كتاب الهنود فيقول: "ويعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية ومما يدل على ذلك ما جاء فى مناجاتهم وتوسلاتهم التى يتوسلون بها.. (أنى مذنب ومرتكب الخطيئة، وطبيعتى شريرة، وحملتنى أمى الإثم فخلصنى... يا مخلص الخطائيين من الآثام والذنوب.

وقال القس جورج كوكس فى كتابه الديانات القديمة: فى سياق الكلام عن الهنود (ويصفون كرشنا بالبطل الوديع المملوء لاهوتا لأنه قدم شخصه ذبيحة[٤].

كذلك أيضا نرى التشابه واضحا فيما يرويه البوذيون عن بوذا فهو أكثر انطباقا على ما يرويه النصارى عن المسيح من جميع الوجوه حتى أنهم يسمونه المسيح - والمولود الوحيد، ومخلص العالم، ويقولون: إنه إنسان كامل وإله كامل تجسد بالناسوت، وأنه قدم نفسه ذبيحة ليكفر ذنوب البشر ويخلصهم من ذنوبهم فلا يعاقبوا عليها، ويجعلهم وارثين لملكوت السموات.

---

(١) الحنو كل شيء فيه اعوجاج كالضلع ومنعرج الوادى والعظم الذى تحت الحاجب من الإنسان، المعجم الوجيز ص ١٧٦، مجمع اللغة العربية.

(٢) انظر قصص الأنبياء ص ٥١٢ - ٥١٥ - عبد الوهاب النجار - مكتبة التراث.

(٣) المصدر السابق نفسه

(٤) المصدر السابق نقلا عن كتاب الهنود ص ٣٦ - هورينوليمس.

أناجيل النصارى تناقض قول بولس فى الخطيئة

إن الناظر إلى المصادر المسيحية وخاصة الأناجيل المعتمدة عند النصارى، نرى أنها خلت من حديث مفصل عن الخطيئة التى من أجلها صلب المسيح. فنجد أن إنجيل متى وإنجيل لوقا – وإنجيل مرقص تتحدث عن الصلب دون الحديث عن الخطيئة.

ففى الإصحاح الثامن عشر يذكر متى أنه صلب معه لصان أحدهما عن يمينه والآخر عن يساره وكانا يشتمانه ويتناولانه محركين رءوسهما ويقولان: يا من يهدم البيت ويبنيه فى ثلاث سلم نفسك إن كنت ابن الله فانزل عن الصليب[١] وفى الإصحاح السابع والعشرين يقول متى: "ونحو الساعة التاسعة صرخ يسوع بصوت عظيم قائلا إيلى إيلى لما سبقتني أى إلهي إلهي لما تركتنى فقوم من الواقفين هناك لما سمعوا قالوا إنه ينادى ايلياء وللوقت ركض واحد منهم وأخذا سفنجه وملأها خلا وجعلها على قصبة وسقاه. وأما الباقون فقالوا اتركوه لنرى هل يأتى إيليا يخلصه فصرخ يسوع أيضا بصوت عظيم وأسلم الروح[٢].

أما مرقص فنراه يذكر أنه صلب معه لصان أحدهما عن يمينه والثانى عن شماله واللذان صلب معه كانا يستعجزانه[٣].

وأما لوقا – فذكر عن اللصين قولهما: "إن كنت أنت المسيح فسلم نفسك وسلمنا[٤]. وكذلك أيضا ذكر يوحنا فى إنجيله[٥].

من خلال ذلك نستنتج أن المصادر المعتمدة عند النصارى خلت من ذكر شيء ما عن الخطيئة إلا أنهم تكلموا عن صلب المسيح واثبتوا عقيدة الصلب. وتذكر الأناجيل أن تلاميذ المسيح تركوه وهربوا عندما قبض عليه لذا يقول متى: "وحينئذ تركه التلاميذ كلهم وهربوا[٦] ومرقص يقول: "فتركه الجميع وهربوا[٧].

---

(١) إنجيل متى ٢٨/١٨.

(٢) إنجيل متى ٢٧.

(٣) إنجيل مرقص ٣٢/٢٧.

(٤) إنجيل لوقا ٤٣/٣٩.

(٥) أنظر إنجيل يوحنا الإصحاح ١٨/ آية رقم ٤، ٨.

(٦) إنجيل متى ٥٦/٢٦.

(٧) إنجيل مرقص ٥٠/١٤.

ويوحنا: "يذكر أن المسيح اخبر تلاميذه بأنه تأتى ساعة يتفرقون عنه ويبقى وحده ولكن الله يكون معه"(١).

إذا هذه النصوص تدلل على أنه لم يكن هناك أحد من تلاميذ المسيح حين جاء الجند ليقبضوا عليه. إذا فما هى صحة أسانيدهم فى قضية الصلب التى لم يشاهدها أحد من تلاميذ المسيح. إذا فشاهد العيان لم يكن موجودا خلال صلب المسيح لكى نعرف المصلوب أهو المسيح أم غيره.

هكذا يتبين لنا أن أناجيل النصارى خلت من ذكر السبب الذى من أجله صلب المسيح عليه السلام وإنما ذكره بولس متأثرا فى ذلك بالديانات القديمة التى كان على علم بها. وزعمه هذا يخالف العقل الذى ينفى أن يعاقب الأولاد على ذنوب آبائهم.

وقد أخبرنا القرآن الكريم فقال تعالى عنه: {وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم}، قال وهب بن منبه(٢): أتى عيسى ومعه سبعة عشر من الحواريين فى بيت فأحاطوا بهم، فلما دخلوا عليهم صورهم الله كلهم على صورة عيسى فقالوا لهم: سحرتمونا لتبرزن إلينا عيسى أو لنقتلنكم جميعا، فقال عيسى لأصحابه: من يشترى منكم نفسه اليوم بالجنة؟ فقال رجل: أنا فخرج إليهم فقال: أنا عيسى. وقد صوره الله على صورة عيسى فظنت النصارى مثل ذلك أنه عيسى ورفع الله عيسى من يومه(٣).

نقد رأى بولس

فى زعمه أن الكلمة أساس الخلق والتدبير

يقول بولس "أن كلمة الله هى علة خلق الكون وتدبيره ومصدر وحى الأنبياء والرسل لأن كلمة الله حيتا وفعاله ومميزة لأفعال القلب، أما عن بطلان زعم بولس أن الكلمة هى أساس الخلق والتدبير والتصيير فظاهر من وجوه .

---

(١) إنجيل يوحنا ١٨/٤، ٨.

(٢) وهب بن منبه الصغانى أبو عبد الله من رجال التابعين كان كثير الأخبار عن الكتب القديمة توفى سنة ١١٤ هـ، انظر الأعلام جـ ٨/١٢٥ لخير الدين الزركلى.

(٣) قصص الأنبياء ص ٦١٨/٦١٧ لابن كثير.

الوجه الأول :

أنه ليس لله شبه وصورة وقد جاء نفى ذلك صراحة فى العهد الجديد أيضا فى مواضع عديدة أن رؤية الله فى الدنيا غير واقعة - ففى إنجيل يوحنا ذكر "أن الله لم يره أحد قط"(١). وذكر فى رسالته الأولى إلى تيموثاوس: "لم يره أحد من الناس ولا يقدر أن يراه"(٢) - وذكر أيضا: "أن الله لم ينظره أحد قط"(٣).

الوجه الثانى:

أما عن زعمه أنها علة خلق الكون وتدبيره فهذا القول حجة عليه لوجوه، منها:

١ -أن الله خلق الأشياء بكلمته التى هى "كن" كما قال فى التوراة: (ليكن كذا ليكن كذا) وكذلك فى الزبور: (لأنه قال فكانوا وأمر فخلقوا) فجعل كونهم عن قوله ومثله فى الزبور (الكل بحكمة صنعت) وفى القرآن: {إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون}(٤) - وليس المسيح هو هذه الكلمات(٥).

٢ -أن كلمة الله اسم جنس، وكلمات الله لا نهاية لها قال تعالى: {قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مددا}(٦).

والتوراة تدل على تعدد الكلمات، وإذا كان ذلك كذلك فالمسيح ليس هو مجموع الكلمات بل خلق بكلمة منها(٧).

٣ -أن المسيح عندك هو الخالق (وتزعم أنه الإله الحق فقد جمعت بين النقيضين، وإذا كان هو الخالق فهو الذى يشدد السموات والأرض. لا يقال به تشددت السموات والأرض، وإنما يقال به فيما كان صفة للموصوف، فيقال خلق الله الأشياء بكن وخلق الأشياء بقدرته.

---

(١) انظر إنجيل يوحنا الإصحاح ١٨/١.

(٢) رسالة يوحنا إلى تيموثاوس الإصحاح ٦.

(٣) المصدر السابق الإصحاح ١٢/٤.

(٤) سورة يس الآية رقم ٨٢.

(٥) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ١٢٦/٢ ابن تخطئ قدم له على السيد صبحى المدنى - مطبعة المدنى.

(٦) سورة الكهف الآية رقم ١٠٩.

(٧) الجواب الصحيح جـ ١٢٦/٢.

وقوله: (بكلمته تشددت السموات والأرض) يقتضى أن الكلمة صفة بها، لأنها هى الخالقة والمسيح عندك هو الخالق[١].فكلمة الله هى صفة متصف بـــها الله فعندمـــا نقـــول بكلمته تشددت السموات نقصد بذلك أمره - الذى أراده - وليس المقصود بـــها المســـيح الذى هو خلق وكان بأمر من الله أى بكلمة الله.

كذلك أيضا أن زعم بولس أن المسيح قادر على الخلق والتدبير، زعم بـــاطل لأن الإله الحق هو القادر على الخلق والإيجاد فلو كان إلها لقدر على دفع ألم الجوع عن نفســه بغير الطعام والشراب فلما لم يقدر على دفع الضرر عن نفسه كيف يعقل أن يكـــون إلـــها للعالمين وبالجملة ففساد قول النصارى أظهر من أن يحتاج فيه إلى دليل[٢].

٤ -أن كلمة الله يراد بها جنس كلماته قال تعالى: {وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمـــة الله هى العليا}[٣].

وكقول النبى ﷺ: "من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله" وحينئـذ فالمراد أن الله أقام السموات والأرض بكلمته كقوله (كن وليس فى هذا تعـــرض للمســـيح عليه السلام)[٤].

الوجه الثالث: فى بطلان حلول اللاهوت فى الناسوت:

حيث زعم بولس أن الكلمة تجلت وظهرت أخيرا فى شخص يسوع المسيح الذى يعتبر كلمة الله إلى جميع الأمم[٥].

يتصدى الإمام الالوسى البغدادى فى الرد على بولس فى دعواه هذه بقوله:

---

(١) المصدر السابق بتصرف جـ ١٢٦/٢.

(٢) راجع تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب - المجلد السادس - جـ ١٢ - ص ٦٥ - طبعه أولى سنة ١٩٨١ - دار الفكر بيروت.

(٣) سورة التوبة الآية رقم ٤٠.

(٤) الجواب الصحيح جـ ١٢٦/٢.

(٥) رسالة بولس إلى العبرانية إصحاح ١/١.

الأول:التعرض لأبطال كون الأقنوم[١] المتحد بجسد المسيح هو إله فقط أو أن كل أقنوم إله كما ذهب إليه الملكانية فإن كان الأول فهو ممتنع لعدم الأولوية. وإن كان الثانى فهو ممتنع أيضا لما تقدم.

الثانى: إنه إذا كان المسيح مشتملا على الأقنوم والناسوت الحادث فإما أن يقولوا بالاتحاد، أو بحلول الأقنوم فى الناسوت أو حلول الناسوت فى الأقنوم أو أنه لا حلول لأحدهما فى الآخر فإن كان الأول فهو باطل بما يبطل حلول الصفة القديمة فى غير ذات الله تعالى وحلول الحادث فى القديم. وإن كان الثانى فإما أن يقال بتجاوزهما واتصالهما أولا[٢].

ويقول أيضا فضيلة الشيخ رحمت الله الهندى: إن أقنوم الابن إذا حل فى جسم عيسى عليه السلام فلا يخلو إما أن يكون باقيا فى ذات الله أيضا أولا، فإن كان الأول لزم أن يوجد الحال الشخصى فى محلين، وإن كان الثانى لزم أن يكون ذات الله خالية عنه فينتفى لأن انتفاء الجزء يستلزم انتفاء الكل[٣].

أما الاتحاد – فيقول الشيخ رحمت الله الهندى: "إن أقنوم الابن إذا اتحد بالمسيح عليه السلام فهما فى حال الاتحاد إن كانا موجودين فهما اثنان لا واحد فلا اتحاد وإن عدما وحصل ثالث فهو أيضا لا يكون اتحادا بل عدم الشيئين وحصول شىء ثالث وإن بقى أحدهما وعدم الآخر فالمعدوم يستحيل أن يتحد بالموجود لأنه يستحيل أن يقال المعدوم بعينه هو الموجود فظهر أن الاتحاد محال[٤].

هكذا قرر علماء الإسلام بطلان وفساد قول بولس فى السيد المسيح عليه السلام لأنه لو كان كذلك لاجتمع القديم بالحادث وصارا هو هو أى صارا أحدهما عين الآخر ولأصبح المسيح قديما من وجه حادث من وجه أخرى.

---

(١) الأقنوم كلمة رومية معناها الشخص وقيل إنها خواص – وقيل أنها صفات – وفى الوجيز الأقنوم الجوهر – انظر المعجم الوجيز ص ٢، وانظر الجواب الفسيح ص ٢٣٧.

(٢) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ص ٨٩ الإمام الالوسى البغدادى – دار البيان العربى – طبعه أولى ١٩٨٧.

(٣) إظهار الحق جـ ٢/٣١. تحقيق أحمد حجازى السقا – دار التراث العربى للطباعة.

(٤) المصدر السابق نفسه.

فلسفة الكلمة الإلهية لدى القديس يوحنا

ويبدو أن يوحنا صاحب الإنجيل الرابع قد سار على منهج بولس إذ نراه يطابق بين الكلمة – والمسيح للوصول إلى إثبات ألوهية عيسى عليه السلام لذا بدأ حديثة فى افتتاحية إنجيله عن الكلمة بقوله: "فى البدء كان الكلمة"[١] ويشير فى عبارته هذه إلى أزلية الكلمة – التى كانت منذ بداية الوجود – ليقرر من خلال ذلك أزلية (المسيح الذى هو ابن الله الأزلي) وهو مقر الحكمة الإلهية، ومصدر تعليم الحق.

وبذلك أصبح المسيح فى تصور يوحنا هو الواسطة بين الله والإنسان لأنه الكلمة الصادرة من الله إلينا كما أنها هى التى تدافع عنا أمام الله[٢].

يقول وليم بركلى: "أن قول يوحنا بأزلية الكلمة كان بمثابة رد منه على المذاهب الغنوصيه[٣] والفلسفية التى كانت شائعة فى نهاية القرن الأول الميلادى. فقد كانت تعاليم الغنوصيين تدور حول اعتبار المادة أساس الشر والروح أساس الخير ومادامت المادة شرا والله كلى الخير لذلك فلا صلة لله بهذا الوجود المادى من ناحيتى الخلق والتدبير[٤].

وقد تصور بعض الغنوصيين أن يسوع المسيح هو واحد من الظهورات المتسلسلة التى صدرت عن ذات الله، فهو ليس إلها حقا، بل هو أبعد بقليل أو كثير عن جوهر الله إنه لا يزيد عن كونه نصف إله.

وقد أضافوا أيضا: "أن يسوع لم يكن له جسد حقيقى، لأن الجسد ينتمى إلى المادة بينما الله أو الايونات[٥] التى تقترب منه لا يمكن أن يكونوا فى صلة أو اتفاق مع المادة، إذا لابد أن يكون يسوع نوعا من الأشباح بلا جسد حقيقى.

---

(١) إنجيل يوحنا الإصحاح ١/١٣١، أنظر علم اللاهوت ٣٣٧ إعداد ونشر دار الثقافة المسيحية بالقاهرة.

(٢) أنظر تفسير إنجيل يوحنا جـ ١/١٠، ١١ – متى هنرى.

(٣) المذهب الغنوصيه هى مذاهب تلفيقية تجمع بين الآراء الدينية والفلسفة وذلك بالمزج بينهما وقيل إنها مذاهب فلسفية نشأت بتأثير الديانات الشرقية كاليهودية والبوذية، والمجوسية والصينية وعملت على المزج بين الآراء بعضهم ببعض، المعجم الفلسفى ص ٢٩٨، مراد وهبه ١٩٨٩.

(٤) أنظر شرح بشارة يوحنا جـ ١/٢٤ – وليم بركلى.

(٥) الأيونات السنة الكبرى عند الرواقيين والقوى الأزلية الصادرة عن مبدأ الموجودات عند الغنوصيين والافلاطونيين، انظر المعجم الفلسفى ص ٢٩ مجمع اللغة العربية وفى المعجم الوجيز ص ٣٢ عبارة عن مجلس كبير على هيئة صفة واسعة له سقف محمول من الإمام على عقد يجلس فيه كبار القوم ومنه إيوان كسرى أو اواوين وايونات.

وإن كان بعض الغنوصيين قد اعتقدوا أن يسوع مجرد إنسان حل فيه روح الله، أو الايون المشار إليه عند المعمودية[١] ويعنى معه طوال حياته الأرضية ثم فارقه قبيل الصلب[٢].

تلك هى الأسباب والدوافع التى جعلت القديس يوحنا يؤلف إنجيله ليرد على الغنوصيين مثبتا فيه ألوهية المسيح وأزليته. لذا جاء تعبيره فى الرد عليهم بالكلمة التى هى تتمثل فى المسيح إنها هى أول كل موجود. ومنها خلق كل موجود.

يقول متى هنرى: "وقد بدأ القديس يوحنا يناهض هذه الآراء، مثبتا صلة الله بالبشر وخلقه للوجود بواسطة الكلمة التى هى المسيح أبن الله الأزلي، الذى يتحد معه فى الجوهر، والمشيئة، والذى تجسد تجسدا حقيقيا وصلب فداء عن البشرية[٣].

فمتى هنرى يشرح عبارة القديس يوحنا - الذى قال بهاردا منه على الغنوصيين - فيذكر أن يوحنا يرى أن الكلمة متحدة مع الله فى الجوهر وأن الله تجسدا تجسدا حقيقيا وظهر بيننا فى شخص عيسى وأنه صلب فداء للبشرية[٤].

الرد على يوحنا

يقول ابن حزم[٥] فى رده على زعم يوحنا فى الكلمة: "فى البدء كانت الكلمة والكلمة عند الله والله كان الكلمة بها خلقت الأشياء ومن دونها لم يخلق شىء فالذى خلق هو حياة فيها. فهل سمع لأعظم سخفا، وأتم تناقضا من هذا الكلام الملعون هو وقائله، كيف تكون الكلمة هى الله؟ وتكون عند الله؟ فالله إذا كان عند نفسه. ثم قوله: "إن الذى خلق بالكلمة

---

(١) المعمودية غسل الطفل.

(٢) المصدر السابق ط٢٥/٢٦.

(٣) مقدمة كتاب تفسير إنجيل يوحنا - متى هنرى.

(٤) سبق الرد على هذه المسائل فى الصفحات السابقة عندما تحدثنا عن بولس، ص١١، ١٢، ١٣.

(٥) ابن حزم هو على بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهرى أبو محمد عالم الاندلس فى عصره ولد سنة ٣٨٤ هـ كانت له ولأبيه من قبله رئاسة الوزراء فزهد فيها وانصرف إلى العلم والتأليف من تصانيفه الفصل وملخص إبطال القياسى انظر الأعلام جـ ٤/٢٥٤.

هو حياة فيها"، فعلى هذا حياة الله مخلوقة فروح القدس على نص كلامه مخلوقة، لأن روح القدس عند جمعهم هو حياة الله وهذا بخلاف جميع قول النصارى، لأن الحياة التى فى الكلمة مخلوقة بنص كلام يوحنا والله تعالى بنص كلام يوحنا هو الكلمة وهذا هدم لملة النصارى من قرب.

ثم يكون بطلانه أشد وطأة من هذا كله إذا كانت حياة الكلمة مخلوقة، والكلمة هى الله، فالله هو حامل لأعراض مخلوقة فيه. فاعجبوا ثم اعجبوا[1].

فابن حزم يوضح لنا فساد قول يوحنا حينما زعم أن المسيح هو الكلمة التى خلقت بها الأشياء إذ أنه لو كان كذلك لأصبحت الكلمة مخلوقة، ومادامت مخلوقة فهى ليست قديمة إذ لا يجتمع قديم مع محدث فى آن واحد كما أن صفات الأزلي - تخالف صفات الحادث. فالأزلي صفاته قديمة. والحادث صفاته حادثة.

ويذكر ابن حزم أن يوحنا وقع فى التناقض حينما قال والله كان الكلمة - فالله بشر على نص كلام يوحنا [2].

لأن مدلول العبارة يوحى إلى التناقض لأنه يقصد بها أن الكلمة منفصلة عن الله ويدل على ذلك قوله (كان الكلمة عند الله) إذا الكلمة كانت موجودة أزلا عند الله كما أنها تعنى شيئا واحدا، وهذا ما عبر عنه علماء اللاهوت فيما بعد بالتمايز الأقنومى والاتحاد الجوهرى بين الله والكلمة، إذ أن الكلمة هى صورة... الذات فالعلاقة بينهما علاقة ذاتية.

ومعنى ذلك أن العلاقة بين الموجود وصورته علاقة تلازم فلكل موجود صورة والكلمة فى زعم يوحنا هى صورة الله.

لذا يقول هانى رزق: "فإن الكلمة إذن هى وجود الله أو هى التى تعبر عن هذا الوجود، إنها كلمة غير محدودة ثابتة أزلية أبدية وهى أقنوم قائم بذاته - وهو (أقنوم الابن).

---

(١) الفصل فى الملل والأهواء والنحل جـ ٢/١٦١.

(٢) المصدر السابق نفسه.

تصور يوحنا للعلاقة بين الله وكلمته

لقد حوت عبارات يوحنا فى بداية إنجيله حديثا عن العلاقة بين الله وكلمته والتى قال فيها: "كان الكلمة عند الله وكان الكلمة الله[١].

وعبارته هذه تدل على أن الكلمة منفصلة عن الله ويدل على ذلك قوله (كان الكلمة عند الله) إذا الكلمة كانت موجودة أزلا – عند الله.

وفى نفس الوقت تعنى الاتحاد الجوهرى بين الله والكلمة إذ أن الكلمة هى صورة... الذات ويؤيد ذلك الدكتور هانى رزق بقوله: "فإن الكلمة إذا هى وجود الله، أو هى التى تعبر عن هذا الوجود إنها كلمة غير محدودة، ثابتة أزلية، أبدية، وهى أقنوم قائم بذاته – وهو أقنوم الابن[٢].

فيوحنا يرى أن الكلمة – تعبر عن المسيح الذى هو ابن الله، إذا فالله أب لهذه الكلمة.

إذا العلاقة بين الله الأب – والكلمة الابن هى علاقة محبة الأب للأبن وقربه منه[٣].

لذا كانت هذه المحبة سبب التضحية والفداء الذى قام به الابن، كما كانت هذه المحبة هى علة الولادة الأزلية للابن. وقد سبق تفنيد وبطلان هذه المزاعم فى الصفحات الأولى من البحث ص ١١، ١٢، ١٣.

ويذكر يوحنا أيضا أن الكلمة الله هى محور الصلة بين الله والعالم لأنها لا تعلن فقط مشيئة الله بل إنها أيضا وسيط المخابرة بين الله والعالم فهى ليست إعلان فقط عن ذات الله وأفعاله بل هى أيضا "وسيلة الصعود إلى الله"[٤].

تعقيب ونقد

من خلال ذكر يوحنا للعلاقة التى بين الله وكلمته. يتبين لنا مدى الإبهام والتناقض الذى وقع فيه يوحنا وأهمه:

---

(١) إنجيل يوحنا ١/١.

(٢) يسوع المسيح فى لاهوته وناسوته ص ١٨٧ القاهرة ١٩٧١.

(٣) انظر إنجيل يوحنا ١٨/١.

(٤) إنجيل يوحنا ٦/١٤.

١ -أنه اثبت فى كلمته الأولى أن الكلمة منفصلة عن الله وفى عبارته الثانية - جعل الكلمة والله شيء واحد.

٢ -أنه جعل العلاقة بين الله والكلمة علاقة المحبة وهذا لم يكن مقصورا على كلمة الله، وإنما أخبر الله تعالى أنه يحب المتقين والمقسطين يقول ابن تيميه: "وأما أصل المحبة، فهى حاصلة بفعل الواجبات فإن الله يحب المتقين والمقسطين[١].

٣ -كذلك من الإبهام والتعارض الذى تضمنه تعبير يوحنا عن كلمة الله، أنه جعل الرب والد المولود وهذا ما تنكره العقول سواء فسرت الولادة بالولادة المعروفة أو بالولادة العقلية التى يقولها علماء النصارى[٢].

٤ -كذلك قوله بأزلية الكلمة يتناقض مع الخالق الذى يجب له الوجود والقدم ويمتنع عليه العدم.. (فقوله بأزلية الكلمة) يؤدى إلى الجمع بين النقيضين وهو أن يكون الله موجودا ومعدوما فى آن واحد، وقديما ومحدثا فى آن واحد[٣].

أما قول يوحنا أن الكلمة متحدة مع الله اتحادا جوهريا فهذا الزعم لا يقول به عاقل إن الصفة مساوية للموصوف فى الجوهر[٤].

٥ -لم يرد أيضا أن المقصود من كلمة الله هى أبنه. كما أننا لا نرى علاقة بين كلمته تعالى ومحبتة لأن الكلمة تطلق ويراد بها معان كثيرة إما أن تكون اسم جنس لكل ما تكلم به قال تعالى {وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا}[٥].

وإما تطلق على الكتاب {وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا}[٦].

وقوله أيضا: {ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين * إنهم لهم المنصورون * وإن جندنا لهم الغالبون}[٧].

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٢/٨٦.

(٢) الجواب الصحيح جـ ٢/٩٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٠٣ باختصار وتصرف.

(٤) المصدر السابق جـ ٢/١١٣.

(٥) سورة التوبة الآية رقم ٤٠.

(٦) سورة الأنعام الآية رقم ١١٥.

(٧) سورة الصافات الآيات أرقام (١٧١ - ١٧٣).

وقوله تعالى: {ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما وأجل مسمى}(١).

وقوله تعالى: {ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم لفى شك منه مريب}(٢).

وقوله تعالى: {وكذلك حقت كلمت ربك على الذين كفروا أنهم أصحاب النار}(٣).

وقال أيضا: {وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا * مالهم به من علم ولآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا}(٤).

وقوله: {الم تر كيف ضربه الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة}(٥).

وقوله: {إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه}(٦).

وقوله: {يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله}(٧).

وقوله: {وألزمهم كلمة التقوى وكانوا أحق بها وأهلها}(٨).

يقول ابن تيميه فى الرد على زعم يوحنا ومن اتبعه من النصارى: "فإن أراد بالكلمة علم الله فعلم الله باق سواء أراد به علمه القائم بذاته أو معلومة الذى أخبر ببقائه فلا حجة لكم فيه، وكذلك إن أراد كلمة معينة فإن المسيح عندكم ليس كلمة معينة من كلامه بل هو عندكم هو الكلمة، وهو الخالق وليس فى هذا اللفظ ما يدل على أنه أراد بالكلمة المسيح، والمسيح عندكم أزلى أبدى لا يوصف بالبقاء دون القدم، ولو قدر أنه أراد بالكلمة المسيح فنحن لا ننكر أنه تسمى بالكلمة لأنه قال له كن فكان(٩).

---

(١) سورة طه الآية رقم ١٢٩.

(٢) سورة هود الآية رقم ١١٠.

(٣) سورة غافر الآية رقم ٦.

(٤) سورة الكهف الآيات أرقام ٤ – ٥.

(٥) سورة إبراهيم الآية رقم ٢٤.

(٦) سورة فاطر الآية رقم ١٠.

(٧) سورة آل عمران الآية رقم ٦٤.

(٨) سورة الفتح الآية رقم ٢٦.

(٩) الجواب الصحيح جـ ٢/١٣١، وانظر ٢٣١.

أما عن نقد ابن تيميه ليوحنا فى تصوره أن الكلمة صورة الذات فيذكر: "أن هذا الزعم من أبطل الأباطيل من وجوه: أحدها أن الله ليس كمثله شىء.

الثانى: أنه لا اختصاص بما ذكر على تقدير حق وباطل بأى تفسير فسر قوله ستخلق بشرا على صورتنا وشبهنا لم يخص ذلك المسيح .

الثالث: إن أراد بالكلمة التى شبهه ومثاله صفته التى هى العلم القائم به والحياة القائمة به مثلا فالصفة لا تكون مثلا للموصوف إذ الموصوف هو الذات القائمة بنفسها والصفة قائمة بها والقائم بغيره لا يكون مثل القائم بنفسه، وإن أرادوا به شيئا غير صفاته مثل بدن المسيح وروحه، فذلك مخلوق له والمخلوق لا يكون مثل الخالق[١].

تلك هى ردود ابن تيميه على يوحنا صاحب الإنجيل الرابع وهى ردود مفحمة له موضحة أن العقل ينكر وجود قديمين مع الله فكلمة الله – هى أمره تعالى القائم به – فهى صفة ثبوتية قديمة قائمة بذاته تعالى لا تنفك عنها بحال من الأحوال.

أما وقد ذكر الله تعالى فى كتابه العزيز أن عيسى مخلوق بواسطة الكلمة وهى قوله {كن} وذلك لأن السبب المتعارف عليه مفقود فى حق عيسى عليه السلام وهو الآب فلا جرم كان إضافة حدوثه إلى الكلمة أكمل وأتم فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمة، كما أن من غلب عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة انفس الجود ومحض الكرم وصريح الإقبال[٢].

ويقول الفخر الرازى: "إن السلطان العادل قد يوصف بأنه ظل الله فى أرضه، وبأنه نور الله لما أنه سبب لظهور ظل العدل ونور الإحسان. فكذلك كان عيسى عليه السلام سببا لظهور كلام الله عز وجل بسبب كثرة بياناته وإزالة الشبهات والتخريفات عنه فلا يبعد أن يسمى بكلمة الله تعالى على هذا التأويل. فإن قيل: ولم قلتم إن حدوث الشخص من غير نطفة الأب ممكن قلنا: إما على أصول المسلمين فالأمر فيه ظاهر ويدل عليه وجهان:

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٢/٢٣١.

(٢) تفسير الفخر الرازى المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتح الغيب – المجلد السادس جـ ١٢/٥٢ – طبعة أولى ١٩٨١ – دار الفكر بيروت لبنان.

الأول: أن تركيب الأجسام وتأليفها على وجه يحصل فيها الحياة والفهم، والنطق أمر ممكن وثبت أنه تعالى قادر على الممكنات بأسرها وكان سبحانه وتعالى قادرا على إيجاد الشخص لا من نطفة الأب. وإذا ثبت الإمكان ثم إن المعجز قام على صدق النبى فوجب أن يكون صادقا، ثم أخبر عن وقوع ذلك الممكن والصادق إذا أخبر عن وقوع الممكن وجب القطع بكونه كذلك فثبت صحة ما ذكرناه[1].

فالرازى يثبت أن ميلاد المسيح بكلمة الله أمر لاصعوبة فيه ولا يشوب حوله ريب لأنه أمر ممكن وقد أخبر الله عن وقوعه لذلك وجب الإيمان بأن عيسى خلق بكلمة الله, ولا مانع من تسميته بكلمة الله ولكن الذى لا يجوز هو أن نضع كلمة الله موضع الإله أو أننا نعتقد أنها صورة الله أو ظله.

فهذه من المسائل التى تؤدى إلى الشرك وقد بينا فيما مضى بطلان هذا القول من ناحية العقل والنقل.

وظائف الكلمة لدى يوحنا

بعد أن تحدث يوحنا عن الكلمة وأزليتها ومدى علاقتها بالله شرع بعد ذلك فى عرض وظائف الكلمة والتى من أهمها:

١ -أنها علة خلق الكائنات الموجودة فى العالم المادى. وقد عبر عن هذه الوظيفة بقوله: "كل شىء به كان وبغيره لم يكن شىء مما كان[2].

فهذا النص يوحى أن الكلمة الإلهية هى سبب خلق الكائنات، فالله حينما خلق الوجود لم يعتمد على مادة لتشكيله بل قال "كن" فكان.

فالكلمة كانت هى الوسيلة لتتميم مقاصد الله الأزلية إلا أن الكلمة لم تكن إلها بل كانت شريكا مع الله فى عملية الخلق[1].

---

(١) المصدر السابق جـ ١٢/٥٢، ٥٣.

(٢) إنجيل يوحنا ١/٣.

فيوحنا يعتقد بنصه هذا أن الكلمة الإلهية شريك أساسى فى عملية الخلق فالله ليس بمقدوره أن يخلق شيئا من غير الكلمة - إذ أنها بمثابة العقل الجرثومى الحاوى بداخله بذور الكائنات. ولذا فلا يخلق الله خلق حتى يشرك هذا العقل الذى يحوى بداخله البذرة التى هى علة الخلق وسبب وجوده.

٢ -ومن وظائف الكلمة أيضا: إنها الحياة الروحية حياة الإيمان والطاعة والمحبة والاتحاد بالله، كما أنها هى نور الإيمان الذى يقذف فى القلب(٢).

٣ - ومن وظائف الكلمة أيضا: "إنقاذ البشرية أو تخليصها من نار الخطيئة الأزلية من أجل إعطاء البشر النموذج الأعلى للإنسان الكامل المعصوم من الخطيئة"(٣).

الآثار السلبية التى ترتبت على زعم يوحنا فى الكلمة

الخلاف العقدى بين الطوائف المسيحية:

لقد أسبغ يوحنا على الكلمة الإلهية صفات الإله من حيث الأزلية والبقاء وأعطاها من الوظائف ما يجعلها هى والله شيا واحدا - بإنه بوصفه لهذه الوظائف عطل أهم خاصية من خواص الإلهية وهى خاصية الخلق. التى نسبها إلى الكلمة وجعلها العقل الذى يحوى بداخله جرثومة الوجود ولا ريب أن زعمه هذا أحدث شرخا عميقا فى العقيدة المسيحية على مدار تاريخها الطويل حيث إشتد الخلاف بين الطوائف المسيحية الأولى وتباعدت مسافات الخلف تباعدا شديدا لايمكن أن يكون معه وفاق، وكان الاختلاف يدور حول شخص المسيح، أهو رسول من عند الله فقط من غير أن تكون له منزلة أكثر ممن له شرف السفارة بين الله وخلقه، أم له بالله صلة خاصة أكبر من رسول، فهو من الله بمنزلة الابن، لأنه خلق من غير أب، ولكن ذلك لايمنع أنه مخلوق لله لأنه هو كلمته، ومن قائل إنه أبن الله له صفة القدم، كما لله تلك الصفة، وهكذا تباينت نحلهم، واختلفت، وكل يزعم أن نحلته

---

(١) انظر تفسير إنجيل يوحنا جـ ١/١٢ - متى هنرى.

(٢) شرح بشارة يوحنا جـ ١/٢٤٨ وليم بركلى.

(٣) انظر يسوع المسيح ص ١٥٨، د/ هانى رزق.

هى المسيحية الصحيحة التى جاء بها المسيح عليه السلام، ودعا إليها تلاميذه من بعده، ويظهر أن ذلك الاختلاف، وتلك النحل المتباينة المتضاربة المتنازعة، ظهرت بعد أن دخلت طوائف مختلفة من الوثنيين من الرومان واليونان، والمصريين. فتكون فى المسيحية مزيج غير تام التكوين، غير تام الاتحاد والامتزاج، وكل قد بقى عنده عن عقائده الأولى ما أثر فى تفكيره فى دينه الجديد، وجعله يسير على مقتضى ما اعتنق من القديم من غير أن يشعر أو يريد[1].

وقد أدى الخلاف فى شخص المسيح إلى إنعقاد مجمع نيقية سنة ٣٢٥م حيث أمر قسطنطين إمبراطور الرومان بأن يعقد مجمع دينى مسكونى يضم ممثلين لجميع الكنائس فى العالم المسيحى للفصل فى أمر الخلاف بين أريوس ومعارضيه[2]، ولبيان أى الرأيين يتفق مع الحق، ولتقدير مبدأ صحيح يعتنقه المسيحيون فيما يتعلق بألوهية المسيح، ولاتخاذ ما ينبغى اتخاذه من قرارات أخرى فى شئون العقيدة والشريعة فاجتمع فى نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة، ولكنهم اختلفوا اختلافا كبيرا ولم يستطيعوا الإجماع على رأى. ويظهر أن قسطنطين كان يجنح للرأى القائل بألوهية المسيح، فاختار من بين المجتمعين ثمانية عشرة وثلاث مائة من أشد أنصار هذا المذهب، وألف منهم مجلسا خاصا وعهد إليهم أمر الفصل فى هذا الخلاف واتخاذ ما يرون اتخاذه من قرارات أخرى فى شئون العقيدة والشريعة على أن تصبح قراراتهم مذهبا رسميا يجب أن يعتنقه جميع المسيحيين فانتهوا إلى عدة قرارات كان من أهمها القرار الخاص بإثبات ألوهية المسيح وتكفير أريوس، وحرمانه، وطرده وتكفير كل من يذهب إلى أن المسيح إنسان، وتحريق جميع الكتب التى لا تقول بألوهية المسيح وتحريم قراءتها، وكان من أشد أنصار هذا القرار والداعين إليه بطريرك الإسكندرية.

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٤٦.

(٢) يذكر المؤرخون أن لانعقاد مجمع نيقية سببين ظاهرين نستطيع أن نقول: أن أحدهما عام والآخر خاص. (١) السبب العام هو الخلاف الذى كان دائرا حول شخص المسيح أهو رسول من عند الله فقط أم انه ابن الله، وأنه اله لأنه خلق من غير أب، فقد اختلفت الآراء والنحل بين النصارى، وكل واحد منهم يزعم أنه على حق مستمد من آراء المسيح عليه السلام. أنظر محاضرات فى النصرانية ص ٣٤٠.

ويبدو أن هذه الظاهرة انتشر الحديث عنها بعد أن دخل فى المسيحية كثير من أصحاب الملل والعقائد المختلفة. أما السبب الخاص فهو عقيدة اريوس وأعوانه.

ولم يتعرض مجمع نيقية للعنصر الثالث من عناصر الألوهية فى العقيدة المسيحية الحاضرة وهو (روح القدس) ولم يبين حقيقة طبيعته أهو الإله أم مخلوق، ومن ثم نشب خلاف كبير بين المسيحيين حول هذا الموضوع، وظهرت فرق تقول بأن روح القدس ليس بإله وإنما هو محدث مخلوق[١].

هكذا كان من الآثار السلبية لمزاعم يوحنا فى دعوى أزلية الكلمة والتى حولت المسيحية من ديانة توحيد إلى ديانة تؤمن بالتعدد. لذلك أوقع زعم يوحنا الكثير من قادة الفكر المسيحى وقديسية فى تناقض رهيب.

فلسفة الكلمة عند أريوس

يعد أريوس أحد قادة الفكر المسيحى وفيلسوفا من فلاسفتهم وعظيما من عظمائهم قوى الدعاية جزيئا فيها، واسع الحيلة، بالغ الأدب وهو من يسمى بالقديس أريوس - فقد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الإسكندرية فيما تبثه بين المسيحيين من ألوهية المسيح وتدعو إليه، فقام هو محاربا ذلك، مقرا بوحدانية المعبود، منكرا ما جاء فى الأناجيل مما يوهم تلك الألوهية[٢].

فلسفة الكلمة لدى بولس الشمشاطى[٣]

الكلمة لدى بولس الشمشاطى :

جاء عنه أنه هو وأصحابه كان يقول: "أن الله جوهر قديم واحد، وأقنوم واحد، ويسمونه بثلاثة أسماء، ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس[٤].

فبولس الشمشاطى لا يؤمن بأن الكلمة اله من الإله وإنما يرى هو أصحابه أن الله قديم لا أول لوجوده ولا آخر وهو جوهر واحد وليس متعددا لا فى الذات ولا فى الصفات ولا فى

---

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة على الإسلام ص ١٢٥/١٢٦ - على عبد الواحد وافى.

(٢) المصدر السابق ص ١٤٧.

(٣) أسقفا لانطاكية منذ سنة ٢٦٠م أنكر ألوهية المسيح وقرر أنه مجرد بشر رسول وقد عقد لأنطاكية من سنة ٢٦٤ إلى سنة ٢٦٩ ثلاث مجامع للنظر فى شأنه وانتهى الأمر بحرمانه وطرده، انظر الأسفار المقدسة ص ١٢٤.

(٤) انظر الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة على الإسلام ص ١٤٨.

الأفعال غير أن هذا الجوهر يسمى بأسماء ثلاثة وهى العلم والحياة والوجود فهى أسماء للإله وليست ذوات قديمة.

فلسفة الكلمة لدى جوستين

(جوستين)[١] المولود سنة ١٠٣ م والمتوفى سنة ١٦٧م. فقد دافع عن قول يوحنا مثبتا أن المسيح كلمة الله، ينير العقول البشرية منذ البدء فأخصبت بذور منه واهتدت إلى بعض الحقائق[٢].

فلسفة الكلمة لدى كليمنت

أما كليمنت[٣] السكندرى المولود ١٥٠م والمتوفى ٢١٧م فيقول: "إن كلمة الله المقولة منذ البدء ورثت فى الإسماع حديثا باتخاذها إسما جديدا هو اسم المسيح[٤].

فكليمنت يزعم أن الدين المسيحى وارث الماضى وترجمان المستقبل، وأنه ليس ببناءا غريبا فى تاريخ الكون، أو مناقضا للحوادث والأنباء السابقة، بل هو إتمام كل إعلان أو وحى، أو نبوة حديثا، وتفسيرا وإيضاحا لكل كتاب أنزل ولكل قول أو مبدأ نطقت به أفواه العلماء والحكماء، وأرباب العقول الثاقبة[٥].

---

(١) جوستين: ولد فى نابلس من أبوين وثنيين، وكانت المدينة وثنية عامرة باليونان والرومان وكان فيها جالية يهودية، تثقف ودرس الفلسفة يحدوه الشوق إلى معرفة الله فطاف بمذاهبها حتى اطمأن إلى الأفلاطونية، ثم ترك فلسطين وذهب إلى أفسس، فأقام فيها مدة تنصر فى أثنائها حوالى سنة ١٣٠٠ وشرع ينشر دينه بالخطاب والنقاش على ما كان مألوفا، ثم قصد إلى روما وفتح فيها مدرسة وظل يعلم إلى أن استشهد هو وستة من تلاميذه. أنظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٦٢، د/ يوسف كرم.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٦٥ – يوسف كرم.

(٣) كليمنت: ولد كليمنت بالإسكندرية وثنيا وقيل بأثينا سنة ١٥٠م وجال فى شبابه فى فلسطين وسوريا واليونان، وإيطاليا يتفرج على البلاد ويدرس على مشاهير المعلمين، حتى تعرف على الأسرار الوثنية والمذاهب الفلسفية، وانتهى بتفضيل الأفلاطونية ثم لم يتحقق له فيها شىء من أمانيه الروحية، فاعتنق المسيحية... ثم قدم إلى الإسكندرية سنة ١٨٠م وتزعم المدرسة المسيحية فيها أن ذاك، وبعد عشر سنين أرسل إلى الهند وهناك تزعم مدرستها وفى سنة ٢٠٢م صدر أمر امبراطورى باضطهاد المسيحية فكف عن التعليم ورحل إلى آسيا الصغرى وعمل على نشر الدين فى أرجائها وتوفى بها ٢١٧م مصنفاته المرشد السماوى (اللوغوس) والهادى والمؤدب – والمعلم، انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٦٩، ٢٧٠، د/ يوسف كرم.

(٤) المصدر السابق ص ٢٧٠.

(٥) تاريخ الأمة القبطية وكنيستها جـ ١/٦٣ – طبعة القاهرة.

فكليمنت يسير على نمط يوحنا فى جعله الكلمة أساس الوجود فى ماضيه ومستقبله وهى مبدأ كل نبوة حدثت فى الكون - كما إنها هى وحى الأنبياء والحكمة التى نطق بها العلماء .

ويرى كليمنت أيضا أن الكلمة هى أساس الحياة الأخلاقية ومصدر الالزام الخلقى. ويرى أيضا - أن فى كل إنسان قوة طبيعية مشاركة فى الكلمة الإلهية[١].

وبناء على هذا الزعم نرى أن كليمنت. لم يجعل الكلمة قاصرة فى مدلولها على السيد المسيح عليه السلام وإنما جعلها أرثا متوارثا فى البشرية. إذا سلمنا له بهذا يكون وضع الكلمة عاما فى جميع البشر وهذا ما يجعلنا نقول له سائلين إياه هل كل البشر الذين ورثوا الكلمة قدماء؟. كما نقول له كيف تكون الكلمة خالقة للوجود وهى حالة فيه فهل.. يحل الخالق فى المخلوق؟. فإذا كانت الكلمة أرثا متوارثا فى الوجود وإذا كان الوجود يأخذ نفس الخواص التى هى للكلمة من حيث القدم والأزلية. والخلق والإيجاد والتغير وهذا ما ينفيه العقل ويكذبه الواقع. يقول ابن حزم: "فى الرد عليه: فأي ميزة للمسيح عليهم، إذ هو ولد الله وهم أولاد الله[٢].

فإنه من العبث الفكرى أن ينكر الإنسان العاقل الضوء فى رابعة النهار فقد أنكر كليمنت الآيات والآثار الدالة على وجود مؤثر واحد فى الكون فتعاقب الليل والنهار يلفت أنظارنا إلى قدرة الله، ويحرك عقولنا إلى البحث والتفتيش عن صاحب هذا العمل المنظم الذى لا اختلال فيه، يجعلنا نصل إلى أنه أثر من آثار الله. وكذلك خلق السموات وجعلها سبعا وجعل فيها القمر نورا يهدى السائرين والنجم يرشد المسافرين والشمس سراجا منيرا، وكذلك الأرض جعل فيها رواسى وأنهارا وأخرج فيها من كل الثمرات أليس ذلك كله دليلا على أن الخالق هو الله الذى لا أرث لفعله لم يرث ولم يورث لأن فعله لا يشبهه فعل - كما أن كل ما عليه المخلوق فالخالق على خلافه.

يقول ابن حزم: "كيف تصير الكلمة لحما وقد قال إنها الله، فالله إذا صار لحماً وسكن فى أولئك الأقذار. حسبنا الله ونعم الوكيل[٣].

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٧٣ - د/ يوسف كرم.

(٢) الفصل جـ ٢/ ١٦٥.

(٣) المصدر السابق ص ١٦٦.

رأى سابليوس(*) فى الكلمة:

يرى سابليوس أن الكلمة هى القوة الإلهية، أو العقل الإلهي الحال فى الله منذ الأزل، وهى ليست ذات شخصية مستقلة سابقة على الإعلان التاريخى فى المسيح لأن الأقانيم الثلاثة فى نظره ليست إلا تعبيرات مختلفة لشخصية واحدة(١) لذلك ورد عنه قوله: "أن الكلمة هى قوة إلهية أو جزء من الطبيعة الإلهية وهى التى اتحده مع الإنسان ياسوع(٢).

فسابليوس يخالف كليمنت فلم يجعل الكلمة أرثا متوارثا فى أنصار المسيح وإنما أعطاها صفة الإلهية واصفا إياها بأنها العقل الإلهي - وعلى قوله هذا تكون الكلمة جزءا لا يتجزأ من الطبيعة الإلهية أما عن علاقتها بالمسيح فإنه يزعم أنها علاقة اتحاد - إذ أن فى تصوره أن كلمة الله اتحدت بناسوت ياسوع فأصبحت هى وياسوع شيئا واحدا - لذا زعم أن الأقانيم الثلاثة ما هى إلا تعبيرات مختلفة لشخصية واحدة.

فهو بذلك ينفى التعدد مثبتا أن الله الآب ذو طبيعة واحدة يحوى فى ذاته الكلمة إذ أنها جزء منه. اتحد بالمسيح يسوع كما انه لم يوضح لنا التمايز بين اللاهوت والناسوت فى المسيح. زاعما أن كل ما ذكر عن التمايز ما هو إلا تعبيرات مجازية وليس هناك تمايز حقيقى لان كلمة الله المتحدة بالمسيح جزء من طبيعته الإلهية.

نقد رأى سابليوس :

يقول الإمام الفخر(٣) فى الرد على سابليوس ومن وافقه من النصارى: إعلم أن النصارى يذكرون الحلول تارة، والاتحاد أخرى. وكلامهم فى غاية الخبط ونحن نذكر تقسيما مضبوطا فنقول: القول إما أن يقولوا بالحلول أو بالاتحاد، إما لذات الله تعالى، أو

(*) سابليوس مسوريوس . سياسى رومانى كان فى عهد طياريوس . أنظر دائرة المعارف للبستانى ج ٩ /٣٦٨ دار المعرفة بيروت

(١) انظر قصة الكنيسة القبطية جـ ١/٩٣ - إدريس حبيب المصرى.

(٢) تاريخ الأقباط جـ ١/١٤٦ - زكى شنودة - القاهرة ١٩٦٨.

(٣) الإمام فخر الدين الرازى هو محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التميمى البكرى فخر الدين الرازى إمام فى الفلسفة وعلم الكلام، ويقال له (ابن خطيب الرى) وهو قرشى النسب أصله من طبرستان ومولده فى الرى واليها نسبة وتوفى فى هراة سنة ٦٠٦ هـ ومن آثاره مفاتيح الغيب وهو التفسير المشهور، ولوامع البينات فى شرح أسماء الله والصفات، (ومعالم أصول الدين) (والمحصول فى علم الأصول) وغيرها - راجع ٠الاعلام جـ ٣/٢٧٣ للزركلى.

لصفة من صفاته. إما بالنسبة إلى روح عيسى عليه السلام، أو بالنسبة إلى بدنه. وإما أن لا يقولوا بشيء من ذلك، بل يقولوا: إنه تعالى أعطاه قدرة على خلق الأجسام والحياة وعلما بالمغيبات. وإما أن لا يقولوا بذلك أيضا، بل يقولوا: إنه تعالى سماه أبنا على سبيل التشريف. كما سمى إبراهيم عليه السلام - خليلا على سبيل التشريف فهذه هى الوجوه التى يحتملها كلامهم. ونقول: أما القول بالحلول فهو باطل. لأنه تعالى لو حل فى شيء. لكان أما أن يحل مع وجوب أن يحل، أو مع جواز أن يحل وكلاهما باطل لأنه يقتضى حدوث الحال أو قدم المحل وكلاهما محالان[1].

أما عن رده على سابليوس وأمثاله فى زعمه بالاتحاد فيقول: "وأما القول بالاتحاد فهو أيضا باطل. لأن الشيئين إذا إتحدا فهما حال الاتحاد إن كانا باقيين، فهما اثنان لا واحد. وإن عدما معا كان الحاصل ثالثا مغايرا لله، وإن بقى أحدهما وفنى الآخر امتنع الاتحاد أيضا لأن الموجود لا يكون عين المعدوم[2].

بناء على ذلك يتبين لنا بطلان زعم سابيلوس بأن الكلمة الإلهية جزء من الطبيعة الإلهية لأنها لو كانت كذلك لأصبحت الطبيعة لم تعبر عن ذات واحدة وإنما هى تعبر عن ذاتين ذات الله - والكلمة ، ولو صح زعمه لأصبح انعدام الجزء يترتب عليه نقص فى الكل إذ أن الجزء يمثل فراغا كبيرا فى الكل فلوا نعدم لنقص الكل. كذلك أيضا لو انعدم الجزء لانتفى الاتحاد الذى زعمه سابيلوس وإن انعدما معا الجزء والكل - لا نتفت الإلهية وهذا باطل لأن الألوهية قائمة والوجود دل على وجود اله خالق قادر عالم سميع بصير متكلم. لهذا الكون.

إذا فزعم سابيلوس باطل. لأن كلمة الله - تعبر عن صفة الله القديمة القائمة بذاته تعالى. الملازمة له التى لا تنفك عن ذاته - كما أنها لايمكن لنا أن نسميها جزءا لأن ذات الله لا تتجزأ ولا تتبعض - وإنما التجزء والتبعض خاص بالأجسام وقد ثبت بالدليل أن الله ليس بجسم. لكن متحيزا والتحيز من صفات الحوادث والله ليس بحادث.

---

(١) الأربعين فى أصول الدين جـ ١/١٦٥ - فخر الدين الرازى تحقيق طه عبد الرؤوف سعد / طبعة الكليات الأزهرية.

(٢) المصدر السابق جـ ٢/١٦٦.

الكلمة عند أوريجين[١] المولود ١٨٥م والمتوفى ٢٥٤م:

حاول اوريجين الجمع بين رأى يوحنا وبولس وبين العقل تجاه فكرة الكلمة. منطلقا من بعض نصوص الكتاب المقدس التى تؤكد أن الآب أعظم من الابن.

فيرى أوريجين أن الابن فى الله كالعقل فى الإنسان[٢].

ويذكر أوريجين أيضا أن الكلمة هى المبدأ الخلاق للكائنات فيقول: "إن الكلمة هى المبدأ الذى خلقت فيه الكائنات منذ الأزل"[٣].

ومن ناحية أخرى فإنه يرى أن العدالة الإلهية قد تقتضى أن يخلق الله الأرواح منذ الأزل متساوية كاملة، ولكن روحا واحدة هى التى انتفعت خير انتفاع بهذا الكمال فاتحدت بالله واستحقت أن تصير نفس المسيح، وان تعصم من كل زلة[٤].

إذا فأرويجين حاول بزعمه هذا أن يوفق بين النقل والعقل أو بين ابن الله الذى تحدثت عنه الأناجيل – وعن الكلمة أو الأقنوم الثانى وبهذا يمكن لنا أن نقول: أن الكلمة أو الأقنوم الثانى فى وجوده الشخصى الأزلى لدى أوريجين أزلى من الأب وكان فى نفس الوقت هو العقل الذى ينظم العالم ويخضع للآب.

ويبدو أن زعمه هذا كان له صدى واسع عند بعض المسيحيين الذين زعموا بتمايز الأقانيم الثلاثة بالذات والجوهر مما أحدث شرخا عميقا فى عقيدة التثليث عند المسيحيين

---

(١) أوريجين ولد بالإسكندرية فى أسرة وثنية عام ١٨٥ ثم ما لبث أن تنصر ولقب بابن (هوروس) وكان أبوه مثقفا يقتنى مكتبة حافلة بالمؤلفات فتعلم أوريجين الكتاب المقدس عليه وأخذ عن كليمنت العلوم والفلسفة وكان فى السابعة عشر ثم رأس مدرسة الإسكندرية بعد رحيل كليمنت عنها وكان فى الثامنة عشر فأصاب كثيرا من النجاح، ثم قصد إلى روما ولم يطل المكث بها فعاد إلى الإسكندرية فتقاطر عليه التلاميذ من المدارس الفلسفية والفرق الغنوسية وشغل بمسألة البعث وكان مثار خلاف شديد بين الكنيسة من جهة وبين الوثنيين من جهة أخرى توفى ٢٥٤م اشهر مصنفاته كتاب المبادئ صنفه بعد الاستماع إلى امونيوس والكتاب عن قضية إلهية تروى صدور الكائنات عن الله فانصرافها عنه، فعودتها، انظر تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦.

(٢) تاريخ الكنيسة المسيحية ص ١٦٧.

(٣) تاريخ الفلسفة اليونانية ص ٢٧٧ – د/ يوسف كرم.

(٤) المصدر السابق نفسه.

لأن الأقانيم الثلاثة إذا تمايزت سقط الزعم بأنها ثالوث فى وحدة لأنه أصبح لكل أقنوم طبيعة تخالف طبيعة الأقنوم الآخر. فلابد لهم من الاعتراف أنهم يزعمون بتعدد الذوات - وهذا باطل.

يدلل على بطلان زعمهم التفتازانى[١] بقوله: "والنصارى وان لم يصرحوا بالقدماء المتغايره، لكن لزمهم ذلك لأنهم أثبتوا الأقانيم الثلاثة التى هى الوجود والعلم والحياة وسموها الآب والابن وروح القدس، وزعموا: أن أقنوم العلم قد انتقل إلى بدن عيسى عليه السلام فجوزوا الإنفكاك عن المحل والانتقال فكانت الأقانيم ذواتا متغايرة[٢].

الكلمة الإلهية لدى بعض الفرق المسيحية

بعد أن تحدثنا عن مزاعم المصادر المعتمدة لدى النصارى كموقف بولس ويوحنا، وارويجين، وسابليوس وبولس الشمشاطى، وغيرهم من أباطرة القرون الأولى نعود لنوضح - تصور بعض الفرق المسيحية للكلمة الإلهية، وقد سبق الحديث عن آراء البعض منهم كالأريوسية أصحاب أريوس، والشمشاطية أصحاب بولس الشمشاطى.

وفيما يلى سنتحدث عن موقف أشهر الفرق المسيحية القديمة من الكلمة الإلهية:

أولا: الملكانية

وهم أصحاب ملكا الذى ظهر بأرض الروم واستولى عليها. ومعظم الروم ملكانية وهم اليوم الكاثوليك والبروتستانت وهم الذين قالوا: إن الكلمة اتحدت بجسد المسيح، وتدرعت بناسوته. ويعنون بالكلمة: أقنوم العلم، ويعنون بروح القدس: أقنوم الحياة، ولا يسمون العلم قبل تدرعه ابنا، بل المسيح مع ما تدرع به ابن، فقال بعضهم: إن الكلمة مازجت جسد المسيح كما يمازج الخمر أو الماء اللبن.

---

(١) التفتازانى: هو مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازانى وقيل محمود عمر وقيل إنه ولد فى صفر سنة اثنين وعشرين وسبعمائة من الهجرة بقرية تفتازان وهى مدينة من مدن (خراسان) ورحل فى طلب العلم إلى أكثر من مدينة وتعلم على أيدي معلمين أفاضل وألف كتبا كثيرة منها مقاصد الطالبين فى علم أصول الدين، توفى ٧٧٢، انظر مفتاح السعادة جـ ١/٣٠٤ طاش كبرى زاده.

(٢) شرح العقائد النسفية ص ٣٩.

وصرحت الملكانية بأن الجوهر غير الأقانيم، وذلك كالموصوف والصفة،... وقالت الملكانية: إن المسيح ناسوت كلى لا جزئى، وهو قديم أزلى، من قديم أزلى، وقد ولدت مريم عليها السلام إلها أزليا، والقتل والصلب وقع على الناسوت واللاهوت معا، وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله عز وجل وعلى المسيح لما وجدوا فى الإنجيل حيث قال: "إنك أنت الابن الوحيد".

بناء على ذلك نرى أن الملكانية تزعم أن الكلمة هى إحدى الأقانيم الثلاثة وهو أقنوم (العلم) .

- كذلك يزعمون باتحاد الكلمة بجسد المسيح. فاصبح المسيح يحمل جانب لاهوتى وآخر ناسوتى.

- كذلك أيضا: يزعمون بألوهية الكلمة وأزليتها.

- وأطلقوا لفظ الأبوة والبنوة على الله[١].

تعقيب ونقد على مزاعم الملكانية فى الكلمة :

أولا: إن زعمهم أن كل أقنوم اله فلا يخلو إما أن يقولوا، أن كل واحد متصف بصفات الإله تعالى من الوجود والحياة والعلم والقدرة وغير ذلك من الصفات، أولا يقولوا به. فإن قالوا به فهو خلاف أصلهم وهو مع ذلك ممتنع لقيام الأدلة على امتناع إلهين[٢].

---

(١) الملل والحل جـ ٢/ ٢٧ - عبد الكريم الشهر ستانى - تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل - الناشر مؤسسة الحلبى.

(٢) لو وجد إلهان للذم أحد ثلاث أمور:

١ - إما أن يذهب كل اله بخلقه وسلطانه.

٢ - وإما أن يعلو بعضهم على بعض.

٣ - وإما أن يكونوا تحت قهر ملك واحد يتصرف فيهم كيف يشاء، ولا يتصرفون فيه بل يكون وحده هو الإله، فعلى المعنى الأول: يلزم تعلق قدرة أحدهما: على قدرة الآخر فيسد طريق القدرة على مخالفيه فيلزم عجزهما معا - وعلى المعنى الثانى: يلزم عجز أحدهما دون الآخر، وعلى المعنى الثالث: يلزم اجتماع مؤثرين على أثر واحد وهذا باطل وبناء على ذلك يكون "وجود الهين صانعين متماثلين ممتنع لذاته مستقر فى الفطر معلوم بصريح العقل بطلانه - انظر شرح الطحاوية ص ٢٥/٢٦ - وانظر دعوة التوحيد ٢٨ محمد خليل هراس.

وأيضا: فإنهم إما أن يقولوا بأن جوهر القديم أيضا اله، أو لا يقولوا. فإن كان الأول فقد أبطلوا مذهبهم، فانهم مجمعون على الثالوث وبقولهم هذا يلزم التربيع (أى أربع آلة وليس ثلاثة) وإن كان الثانى لم يجدوا إلى الفرق سبيلا، مع أن جوهر القديم أصل والأقانيم صفات تابعة، فكان أولى أن يكون إلها[١].

وأما عن الرد عليهم فى زعمهم باتحاد الكلمة بجسد المسيح فقد سبق الرد عليهم فى الصفحات المتقدمة للبحث[٢] وكذلك الرد على زعمهم بألوهية الكلمة وأزليتها.

وأما عن نقدهم فى إطلاق لفظ الأبوة والبنوة على الله فنقول: "إن هذا من تناقضكم، فإنه إن كان هو الله لم يكن هو ابن الله سواء عبر بالابن عن الصفة أو غيرها، فإن الأب هو الذات ليست هى الصفة، وإن عنى بالابن الذات مع صفة الكلام كما تفسرون الأقنوم بذلك. فهذه الذات متصفة مع ذلك بالحياة والكلام سواء عنوا به العلم أو غيره مع العلم أنه هو والحياة قائما بالأب، والصفة ليست غير الموصوف بل ولا يعبر عنها بأنها ابن الموصوف، ولا عبر بذلك أحد من الأنبياء عليهم السلام[٣].

فهذا النص يوضح أنه هناك فرق بين الذات والصفة فمن موجبات الذات الإلهيه اتصافها بكل كمال يليق بها، فاتصافها بالكلمة وبالعلم وبالحياة كمال لها، وهى صفات قائمة بالذات لا تنفك عنها فالصفة تكون دالة على الموصوف ولا يمكن إطلاق الصفة على إنها ابن الله المتصف بالبنوة لأن الله {لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد} وهذا ما نفاه جميع أنبياء الله ورسله فكلهم اثبتوا التوحيد الخالص لله.

ثانيا: النسطورية

هم اليوم طائفة من الارثوزكسية انبثقت وظهرت كطائفة مستقلة منذ الخلاف الذى حدث فى القرن الخامس الميلادى حول طبيعة السيد المسيح وهم ينتسبون إلى نسطور،

---

(١) الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح ص ٨٤.

(٢) انظر البحث ص ١٥

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٢/٢٤٩.

الذى كان بطريرك القسطنطينيه ومكث فى هذا المنصب أربع سنين وشهرين وقد رأى أن مريم العذراء لم تلد الإله بل ولدت الإنسان، وبذلك يرى أن الأقنوم الثانى وهو الابن لم يتجسد وتلده مريم كما يرى غيره من المثلثين بل كان يرى أن مريم ولدت الإنسان فقط ثم اتحد ذلك الإنسان بعد ولادته بالأقنوم الثانى وليس ذلك الاتحاد بالمزج وجعلهما شيئا واحدا، وأن ذلك الاتحاد ليس اتحادا حقيقيا بل كان اتحادا مجازيا لأن الإله منحه المحبة ووهبه النعمة فصار بمنزلة الابن وقوله هذا يدل على أن المسيح لم يكن إلها ولا ابن الإله. وبسبب قوله هذا انعقد مجمع أفسس سنة ٤٣١م وقرر لعنة وطرده واثبات أن مريم العذراء قد ولدت الإنسان والإله، وقد أبعد نسطور عن منصبه ونفى فصار إلى مصر وأقام فى أخميم إلى أن مات[١].

فلسفة الكلمة عند نسطور وأصحابه :

قالت النسطوريه باتحاد الكلمة بجسد عيسى عليه السلام لا على طريق الامتزاج... ولكن كإشراق الشمس فى كوة[٢] على بلورة، وكظهور النقش فى الشمع إذا طبع بالخاتم[٣].

الرد عليهم فى زعمهم هذا :

يقول الإمام الالوسى البغدادى المتوفى ١٣١٧ هـ وقولهم: "أن الكلمة اتحدت بالمسيح بمعنى أنها أشرقت عليه" لا حاصل له، لأنه إما أن يريد بإشراق الكلمة عليه – (عليه السلام) ما هو مفهوم من مثاله، وهو أن يكون مطرحا لشعاعها عليه، أو يريد أنها متعلقة به كتعلق العلم القديم بالمعلومات، أو يريد غير ذلك. فإن كان الأول، يلزم أن تكون الكلمة ذات شعاع وفى وجهة من مطرح شعاعها. ويلزم منذ ذلك أن تكون جسما، وأن لا تكون صفة للجوهر القديم وهو محال. وإن كان الثانى فهو حق غير أن تعلق الأقنوم بالمسيح بهذا التفسير لا يكون خاصة. وإن كان الثالث فلابد من تصويره ليتكلم عليه[٤].

---

(١) محاضرات فى النصرانية ص ١٨٦.

(٢) الكوه هى الخرق فى الجدار يدخل منه الهواء أو الضوء والبلورة قطعة المرأه – انظر المعجم الوجيز ص ٥٤٦.

(٣) الملل والنحل جـ ٢/ ٢٩.

(٤) الجواب الفسيح فيما لفقه عبد المسيح ص ٨٨.

فالإمام الالوسى يرى أن زعم النسطورية باتحاد الكلمة بالمسيح يجعل الكلمة متحيزة فى جهة خاصة ويلزم أن تكون جسما. ومادام أقنوم الكلمة تحيز فى جهة معينة واصبح جسما انتفت عنها صفة الإلهية. وأصبحت الكلمة حادثة لحلولها فى الحوادث وأصبحت جسما لها إبعاض وأجزاء. كما أنها انتفت عنها الجوهرية وحلت محلها العرضية فأصبحت الكلمة تحوى عوارض حادثة.

ويقول الشيخ رحمت الله الهندى: "إن تشبيههم هذا لا يثبت الاتحاد الحقيقى، بل يثبت التغاير، لأنه كما أن كتابة الخاتم الظاهر على طين أو شمع غير الخاتم وصورة الإنسان فى المرآة غير الإنسان، فكذلك يكون أقنوم الابن غير المسيح عليه السلام، بل غاية ما يلزم أن يكون ظهور أثر صفة الأقنوم فيه أكثر من ظهوره فى غيره. كما أن ظهور تأثير شعاع الشمس فى بعض الأحجار التى تتولد منها الجواهر المعروفة أزيد من تأثير فى الأحجار التى هى غير تلك الأحجار ولنعم ما قيل:

محال لا يساويه محال ... وقول فى الحقيقة لا يقال

وفكر كاذب وحديث زور ... بدا منهم ومنشؤه الخيال

تعالى الله ما قالوه كفر ... وذنب فى العواقب لا يقال[1]

فالشيخ رحمة الله الهندى يوضح لنا بطلان مازعمته النسطورية باتحاد الكلمة موضحا أن هناك فرق كبير بين المسيح وكلمة الله. كما أن طبع الخاتم على الشمع لا يدل على أن المطبوع هو الخاتم فصورة الشىء ليست هى الشىء على الحقيقة كما أن المسيح عليه السلام ليس هو صورة الكلمة وإن كان لقب بها. إلا أن هذا اللقب مثل أى لقب يطلق كأنك تقول فلان سيف الله أو أسد الله كذلك تقول كلمة الله لذا يقول الشيخ رحمة الله الهندى أن صورة الإنسان فى المرآة غير الإنسان فالصورة أمر عرضى تدل على ملامحه ولا تدل على جوهره على سبيل الحقيقة لذا فقول النسطورية هذا يؤدى إلى الكفر ويؤدى إلى تعدد القدماء.

---

(١) إظهار الحق جـ ٢/ ٣٢.

هكذا دحض العلماء مزاعم النسطورية حينما زعمت باتحاد الكلمة بالمسيح على هيئة إشراق محاولين فى ذلك أن يتفادوا أخطاء أقوال النصارى السابقين فى الكلمة إلا أنهم قد وقعوا فيما وقع فيه غيرهم من القول بالاتحاد والتجسد. وهذا ما ينفيه النقل والعقل معا اللذان يرفضان اجتماع القديم مع الحديث فى هيئة واحدة.

ثالثا: اليعقوبية

هم أتباع يعقوب البراذعى، وهم اليوم الأرثوذكسية وقد زعموا "بانقلاب الكلمة لحما ودما، فصار الإله هو المسيح، وهو الظاهر بجسده، بل هو هو وعنهم أخبرنا القرآن الكريم {لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم}[1].

ويذكر الشهر ستانى عنهم أنهم زعموا "أن المسيح جوهر واحد، أقنوم واحد، إلا أنه من جوهرين، وربما قالوا طبيعة واحدة من طبيعتين، فجوهر الإله القديم، وجوهر الإنسان المحدث تركبا تركيبا كما تركبت النفس والبدن فصارا جوهرا واحدا، أقنوما واحدا وهو إنسان كله وإله كله، فيقال الإنسان صار إلها، ولا ينعكس فلا يقال: الإله صار إنسانا، كالفحمة تطرح فى النار فيقال: صارت الفحمة نارا. ولا يقال صارت النار فحمة، وهى فى الحقيقة لا نار مطلقة، ولا فحمة مطلقة، بل هى جمرة.

وزعموا أن الكلمة اتحدت بالإنسان الجزئى لا الكلى وربما عبروا عن الاتحاد بالامتزاج... والحلول كحلول صورة الإنسان فى المرآة المجلوة[2].

وبهذا القول تكون فرقة اليعقوبية قد أضافت للكلمة شيئا لم يذكره النساطرة ولا الملكانية. إلا وهو زعمهم أن للمسيح طبيعة واحدة من طبيعتين ويقصد بقوله هذا أن الكلمة عند اتحادها بالمسيح كسبته طبيعة غير طبيعته إلا وهى الطبيعة الإلهية.

بناء على ذلك تكون الطبيعيتين الإنسانية والإلهية اجتمعا فى شخص واحد وهو المسيح وهذا مدلول قوله: (طبيعة واحدة من طبيعتين).

---

(١) سورة المائدة الآية رقم ٧٢.

(٢) الملل والنحل جـ ٢/ ٣٠.

دحض مزاعم اليعقوبية فى الكلمة الإلهية :

يقول الالوسى: "وأما قول بعض اليعقوبية أن الكلمة لحما ودما وصار الإله هو المسيح. فهو أظهر بطلان مما تقدك. وبيانه من وجهين :

الأول :إنه لو جاز انقلاب الأقنوم لحما ودما مع اختلاف حقيقتهما لجاز انقلاب المستحيل ممكنا، والممكن مستحيلا، والواجب ممكنا أو ممتنعا والممكن أو الممتنع واجبا ولم يبق وثوق بشيء من القضايا البديهية، ولجاز انقلاب الجوهر عرضا، والعرض جوهرا، أو اللحم والدم اقنوما، والقديم حادثا، والحادث قديما. ولم يقل به أحد من العقلاء.

الثانى : لو انقلب الأقنوم لحما ودما. فإما أن يكون هو عين الدم واللحم اللذين كانا للمسيح أو زائدا عليه منضما إليه، والأول ظاهر الفساد والثانى لم يقولوا به[١].

أما عن قولهم أن اللاهوت ظهر بالناسوت فصار هو هو :

يزعمون أن اللاهوت صار عين الناسوت، كما يصرح به قولهم هو هو. فيرجع إلى تجويز انقلاب الحقائق وهو محال كما علمت. وأما أن يريدوا به أن اللاهوت اتصف بالناسوت. فهو أيضا محال لما ثبت من امتناع حلول الحادث بالقديم[٢].

فلسفة الكلمة لدى الطوائف المسيحية المعاصرة

بعد حديثنا عن الكلمة الإلهية عند الفرق المسيحية القديمة. وعند بعض فلاسفتهم فى القرون الأولى نوضح فيما يلى موقف الطوائف المسيحية المعاصرة من الكلمة الإلهية :

أولا: الطائفة الأرثوذكسيه

التعريف بهم:

أرثوذكس – هم أتباع المذهب المسيحى القائل بالطبيعة الواحدة وتعتنقه بعض الكنائس الشرقية مثل الكنسية القبطية[٣].

---

(١) انظر الجواب الفسيح ص ٩٠.

(٢) المصدر السابق ص ٩١.

(٣) المعجم الوجيز ص ١١.

وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين، ومن البلاد الشرقية على العموم كروسيا والبلقان، واليونان، كان مقرها الأصلى القسطنطينيه، وقد فصلت عن الكنيسة الكاثوليكية أيام ميخائيل كارولاريوس بطريرك القسطنطينيه سنة ١٠٥٤، وهى الآن مؤلفه من عدة كنائس مستقلة[١]. نذكر منها:

١ - الكنيسة النسطورية:

انبثقت هذه الكنيسة المستقلة منذ الخلاف الذى حدث فى القرن الخامس الميلادى حول طبيعة السيد المسيح، فالنساطرة يميزون الجزء الإلهي - والجزء الإنسانى فى المسيح تميزا صارما وهو التفسير الذى قدمته فى البداية مدرسة أنطاكية[٢] اللاهوتية، وأدانه المجمع الكنسي فى أفسيوس[٣] عام ٤٣١ ميلادية، ثم مجمع كليدونيا عام ٤٥١م[٤] ولكن رغم هذه الإضافات فإن هذا التفسير استمر فى اجتذاب الاتباع فى كل من سوريا والعراق وفارس، وفى أثناء الحكم العباسى حظى النساطرة بمكانة عليا كانت تحسدهم عليها الطوائف المسيحية الأخرى.

٢ - الكنيسة القبطية الأرثوذكسية:

وهى ترفض منذ القرن الخامس الاعتراف بالتفسيرات اللاهوتية الصادرة من مجمع كليدونيا وأي تفسيرات أخرى غير التى تصدر عن بطريركية الإسكندرية.

---

(١) المسيحية ص ٢٣٩، د/ أحمد شلبى.

(٢) هى إحدى المراكز المسيحية الأرثوذكسيه الشرقية الأربع وبطريركها تكاد تكون عربية تماما من حيث قساوستها، ولغة الوعظ والعبادة، انظر الملل والنحل والأعراف فى الوطن العربى ص ٦٥. د/ سعد الدين إبراهيم - طبعة ثانية ١٩٩٤ مركز ابن خلدون

(٣) مجمع افسيوس الأول يسمى بالمجمع المسكونى الثالث عقد فى مدينة أفسس سنة ٤٣١ والسبب فى انعقاده الرد على بدعة نسطور القائل بأن للمسيح طبيعتين وشيئين فأقر المجمع برأي يوافق عقيدة البابا كيرلس بطريرك الإسكندرية وهو يقضى بأن المسيح طبيعة واحدة وأقنوم واحد تم بعد الاتحاد وبدون اختلاط ولا امتزاج. (المسيحية ص ١٩٣ د/ أحمد شلبى).

(٤) مجمع كليدونيا فى عام ٤٥١م - سبب انعقاده عدم حسم الخلاف فى طبيعة المسيح بين الطوائف المسيحية - وقد قرر المجمع أن للمسيح طبيعتين لاهوتية وناسوتية، انظر محاضرات فى النصرانية ص ١٦٣.

وقد تعرض أتباعها للاضطهاد من السلطات البيزنطية بسبب استقلالها الدينى والسياسى، وهى تستخدم اليونانية، والقبطية والعربية فى تعليماتها وتدوين تراثها، وإن كانت اللغة العربية قد أصبحت بالتدريج هى اللغة الغالبة فى العبادات والطقوس الكنيسة[١].

٣ - الكنيسة اليعقوبية الأرثوذكسية السورية:

وهى امتداد لفرقة اليعقوبية التى سبق الحديث عنها. وهذه الكنيسة الأرثوذكسية قد استقلت بدورها منذ القرن السادس الميلادى وهى لا تختلف عن الكنيسة القبطية من حيث العقيدة اللاهوتية ولكن قساوستها وتنظيمها المستقل برئاسة بطريرك أنطاكية الذى مقره الآن فى حمص سوريا، واللغة المستخدمة فى العبادة عندهم هى السريانية[٢].

٤ - الكنيسة الأرثوذكسية الأرمنية:

استقلت منذ القرن الرابع الميلادى وفى القرن السادس أعلنت رفضها لقرارات مجمع كالسدونيا كما فعل الأقباط والسوريون الأرثوذكس وهى لا تختلف عنهما فى تفسيراتها وطقوسها اللاهوتية إلا اختلافات طفيفة وتستخدم فى تراثها وعباداتها الكنيسة اللغة الأرمنية[٣].

تلك هى أهم كنائس المذهب الأرثوذكس فى العالم. وفيما يلى سنوضح فلسفة الكلمة عند الأرثوذكسيين .

تكاد تجتمع الغالبية العظمى من الكنائس الأرثوذكسية على القول، بحلول الكلمة الإلهية واتحادها بجسد المسيح فمن أقوال كتابهم: "نؤمن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد المولود من الأب قبل كل الدهور[٤].

---

(١) الملل والنحل والأعراف ص ٦٧.

(٢) المصدر السابق نفسه.

(٣) الملل والنحلل والأعراف ص ٦٧؟

(٤) خلاصة الأصول.الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية للأرثوذكسية ص ١٠٣، وزارة المعارف المصرية سنة ١٩٦٢، حبيب جرجس.

وفى كتاب الصخرة الأرثوذكسية يقول مؤلفه: "إن الكنيسة المقدسة الجامعة تعتقد وتعلم تبعا لتعليم الكتاب والتعليم الرسولى أن القديسة العذراء الدائمة البتولية تسمى منذ ابتداء الكنيسة بوالدة الإله بما أن المولود منها هو السيد المسيح ابن الكلمة المتأنس فهذا الرأى يدل على أن المسيح لا أب له وإنما هو ابن الكلمة الإلهية.

كذلك أيضا أضاف الكاتب أن تسميت مريم بأنها والدة الإله. عرف منذ زمن ظهور الكنائس وقبل ظهور الكنائس لم يكن يعرف عنها أنها هى التى ولدت الإله[1].

وورد أيضا لدى بعض الكنائس الأرثوذكسية: "أن الكلمة المتجسدة تحوى طبيعة واحدة وزعموا أنه لاتميز بين طبيعتى اللاهوت والناسوت.

وقد ورد عن بابا الإسكندرية (كيرلس) فى رسالته إلى تيودوسيوس الملك قوله: "إنا لا نعرى الناسوت من اللاهوت، ولا تعرى الكلمة من الناسوت بعد ذلك الاتحاد الغامض الذى لا يمكن تفسيره، بل نعترف بأن المسيح الواحد هو شيئين اجتمعا إلى واحد مؤلف من كليهما لا يهدم الطبيعيتين ولا باختلاطهما، بل باتحاد شريف للغاية[2].

فهذا القول يدل على أن الأرثوذكسية تؤمن بأن الكلمة تجسدت فى المسيح وهى خاصة بطبيعة واحدة وهى الطبيعة الإلهيه.

تلك الطبيعة التى عبر عنها حبيب جرجس بقوله: "إن الكنيسة المقدسة الجامعة الرسولية تعلم وفقا للتعليم الإلهي، واعتراف الأباء أن سر الاتحاد المجيد (أى اللاهوت بالناسوت) فى شخص الفادى الوحيد، هو اتحاد طبيعى جوهرى بدون اختلاط ولا امتزاج منزه عن الافتراق والتغيير والاستحالة، وأنه بعد الاتحاد لا يسوغ أن يقال عن المخلص أنه اثنان أو مسيحيان، ولا أنه طبيعتان ومشيئتان وفعلان، بل ابن واحد ورب واحد، مسيح واحد طبيعة واحدة من طبيعتين، ومشيئة واحدة من مشيئتين وهذا بناء على الاتحاد الطبيعى الجوهرى الذى بين اللاهوت والناسوت، لأن معنى الاتحاد هو أن شيئين أو أشياء

---

(١) الصخرة الأرثوذكسية ص ٩٧.

(٢) انظر قصة الديانات ص ٤١٠، د/ سليمان مظهر.

اجتمعت فصارت واحدة، وهذا الاتحاد فى شخص مولانا لم يكن بطريق الامتزاج والاختلاط كامتزاج الماء بالروح ولا اختلاط الحنطة بالشعير.

تلك هى فلسفة الكلمة لدى طائفة الأرثوذكسية، وهم بذلك جعلت الكلمة الإلهية متحدة بالمسيح اتحادا جوهرى طبيعى كاتحاد الجسد بالروح بحيث إنه يصعب التفرقة بين المسيح الناسوت، والكلمة اللاهوت فهما طبيعة واحدة وشيء واحد، وحدة ذاتية جوهرية منزهة عن الاختلاط، والامتزاج، فهم ينفون الزعم القائل أن الكلمة امتزجت بالمسيح كامتزاج الخمر بالماء أو الشعير بالحنطة، وذلك لأن هذا القول يجعل للكلمة طبيعة ومشيئة تخالف طبيعة المسيح ومشيئة وهذا ما يؤدى إلى نفى الاتحاد بينهما لاختلاف جوهر كل منهما لأن عناصر الخمر تختلف عن عناصر الماء.

لذا قرروا أنه ليس للمسيح إلا طبيعة واحدة، من طبيعتين لاهوتية وناسوتية، لأنه هو كلمة الله الإلهية القديمة المتجسدة فيه فهو يحمل طبيعة الإله وطبيعة الإنسان فهذا مفهوم من طبيعتين كذلك مسيئة واحدة من مشيئتين وهو المشيئة الإلهية والمشيئة الإنسانية.

لكن تقول لهم كيف تجتمع إرادة الله القديمة مع إرادة الإنسان الحادثة الم يكن هذا امتزاج بين الإله والإنسان وهذا ما تنفيه الأرثوذكسية.

ثانيا: الطائفة الكاثوليكية

اتباع البابا رئيس الكنيسة الرومانية[1] وهى امتدادا لفرقه الملكانية، ورجالها مسيحيو الشرق الذين ظلوا أوفياء من حيث العقيدة اللاهوتية للكنيسة الغربية فى روما، وقبلوا مقررات وتفسيرات المجامع الكنيسة، وخاصة مجمعى أفسيوس وكاليدونيا سنتى ٤٣١م - ٤٥١م. على التوالى. ومازالوا إلى يومنا هذا يقبلون السلطة الروحية للبابا فى روما، ولكنهم رغم ذلك ليسوا جميعا منظمين تنظيما تحت السلطة الفعلية للكنيسة الكاثوليكية الرومانية.

(١) المعجم الوجيز ص ٥٢٨.

مسمياتها:

١ - تسمى بالكنيسة البطرسية لكون مشايعها يعتقدون أن مؤسسها الأول هو بطرس الرسول فى زعمهم، ويزعمون أنه كبير الحواريين ورئيسهم ويقولون إنه رأس هذه الكنيسة والبابوات خلفاؤه من بعده.

٢ - وتسمى بالكنيسة الغربية لكون سلطانها فى بلاد الغرب إذ تمتد شوكتها على الخصوص فى بلاد إيطاليا، وبلجيكا، وفرنسا، وأسبانيا، والبرتغال، وشعوبها منتشرة فى أقطار الغرب.

٣ - وتسمى أم الكنائس ومعلمتهن وربما حق لها ذلك بجهة التفاسير التى تبنى عليها أصول التعاليم التقليدية وتنظيمات المجامع، وترتيبها، وهى أيضا التى تأمر بها[١].

أصناف الكاثوليك فى الوطن العربى :

لذلك يصنف كثير من الكتاب الكاثوليكية فى الوطن العربى إلى مجموعتين.

الأولى: أتباع الكنيسة الكاثوليكية فى روما، وهم جزء لا يتجزأ منها ولهم بطريرك فى القدس بعينه بابا روما، وثلاث مبعوثين رسوليكن فى القاهرة وبغداد وبيروت... وتتأثر مواقفهم السياسية عموما بموقف الفاتيكان نحو قضايا الوطن العربى[٢].

ثانيا: الكنائس الكاثوليكية المنتسبة، وهى كنائس تمردت تنظيميا أو لاهوتيا فى فترات مختلفة على كنيسة روما ولكنها توصلت فيما بعد إلى تسوية الخلافات اللاهوتية مع الفاتيكان واعترفت بسلطة البابا الروحية، ومن ناحية أخرى سمح لهم البابا ببعض الاستقلالية التنظيمية والطقوسية لذلك سميت. هذه الكنائس بالمنتسبة أو المؤتلفة مع كنيسة روما ويوجد منها كنائس عده:

كالكنيسة الكاثوليكية اليونانية: وتستخدم اللغة اليونانية فى الطقوس والعبادات ويرأسها بطريرك الإسكندرية.

---

(١) راجع محاضرات فى النصرانية ص ١٧٣.

(٢) الملل والنحل والأعراف فى الوطن العربى ص ٦٨، د/ سعد الدين إبراهيم مركز ابن خلدون طبعه ثانيه ١٩٩٤.

والكنيسة الكاثوليكية السورية: وتستخدم اللغة السريانية فى الطقوس والعبادات ويرأسها بطريرك أنطاكية.

والكنيسة الكاثوليكية القبطية: وتستخدم اللغة العربية فى الطقوس والعبادات ويرأسها بطريرك القاهرة.

والكنيسة الكاثوليكية الأرمنية: وتستخدم اللغة الأرمنية ويرعها بطريرك القسطنطينية.

والكنسية الكاثوليكية الكاليدانية: وتستخدم السريانية ويسمى بطريركها بطريك بابل ويقيم فى الموصل.

والكنيسة الكاثوليكية المارونية: وتستخدم السريانية والعربية ويرعها بطريرك أنطاكية ولكن مقرها الفعلى فى لبنان وهى أكبر الكنائس الكاثوليكية فى الوطن العربى[١].

فلسفة الكلمة لدى الطائفة الكاثوليكية :

ترى الكنيسة الكاثوليكية أن الكلمة الإلهية هى المسيح وتعتقد نفس التصور الذى دعى إليه أثناسيوس، الذى اعتبر رأيه هو الرأى العالمى أو الكاثوليكى... وهو أن المسيح إله مساوى للأب فى المنزلة والمكانة وما عدا ذلك غير مقبول فالمسيح اله من اله، ونور من نور، واله حق من اله حق ومولود غير مخلوق[٢].

وهذا التصور للكلمة هو الذى قرره مجمع نيقية سنة ٣٢٥م وهو القول بألوهية المسيح وأنه من جوهر الله وأنه قديم بقدمه وأيضا ما قرره مجمع أفسس ٤٣١م الفقرة الثانية أن مريم العذراء أم الله.

وكذلك نرى الكنيسة تزعم أن الكلمة الإلهية التى حلت بالمسيح تحل أيضا فى البابوات لذلك قالوا بعصمة البابا، وعصمة الكنيسة: "وبمقتضاه منحت الكنيسة نفسها حق غفران الذنوب والخطايا مقابل مقدار من المال يبذل للكنيسة من راغبى الغفران، وكانت الكنيسة

---

(١) المصدر السابق نفسه.

(٢) النظم والحضارة الأوربية فى العصور الوسطى ص ١٥١، محمد محمد مرسى الشيخ، دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية ١٩٩٦.

تعطى المغفور لهم صكا يسمى بصك الغفران كمستند مادى على الكنيسة يتيح لحامله دخول الجنة[١].

ومن المزاعم الكاثوليكية فى الكلمة، قولهم بحلولها فى جسد المسيح لذا فالمسيح له طبيعتين طبيعة لاهوتية وطبيعة ناسوتية[٢]. "فهما متجسدان لفظا ومنفصلتان فعلا وقرروا أن المسيح هو اله تام وإنسان تام مولود بحسب اللاهوت من الأب وبحسب الناسوت من مريم البتول والدة الإله ومعروف واحد بطبيعتين متحدتين بلا اختلاط ولا ابتدال ولا انقسام ولا انفصال[٣].

وعن هذا التصور الكاثوليكى يقول القس حبيب جرجس: "لو كان للمسيح طبيعتين بعد الاتحاد، الواحدة لاهوتية تعمل المعجزات والأخرى ناسوتية ملغاة للشتائم والإهانات لظهر ذلك وقت الولادة، وانحلت الختوم البيتولية.

كذلك لو كان له طبيعتين لكانت له مشيئتين وصيرورتهما واحدة لأن اتحاد الأفعال والمشيئات أقرب وأسهل من اتحاد الذوات، وحيث تسلم باتحاد الذوات فتسلم باتحاد المشيئات[٤].

وزعمهم هذا باطل لأن الإله عبارة عن موجود واجب الوجود لذاته يجب إلا يكون جسما ولا متجيزا ولا عرضا، وكلمة الله المتسمى بها عيسى عليه السلام عبارة عن هذا الشخص البشرى الجسمانى الذى وجد بعد أن كان معدوما... وكان طفلا أولا ثم صار مترعرعا، ثم صار شابا، وكان يأكل ويشرب ويحدث وينام ويستيقظ وقد تقرر فى بداهة العقول أن المحدث لا يكون قديما، وأن المحتاج لا يكون غنيا، والممكن لا يكون واجبا والمتغير لا يكون دائما[٥].

---

(١) انظر الإسلام فى مواجهة الأيديولوجيات المعاصرة ص ٩ د/ عبد العظيم مصطفى، مكتبة وهبه.

(٢) انظر محاضرات فى النصرانية ص ١٦٦.

(٣) قصة الديانات ص ٤١٠ سليمان مظهر مكتبة مدبولى.

(٤) انظر الصخرة الأرثوذكسية ص ٤٢. حبيت جرجس.

(٥)-إظهار الحق ص ٥٥، للشيخ رحمة الله الهندى.

تعقـــيب

هكذا استعرضنا فيما سبق فلسفة الكلمة فى الفكر المسيحى ورأينا أن كلا مـــن رجـــال الفكر المسيحى تحدث عن الكلمة فى إطار التصور المسيحى لعاو فبولس هو أول من أشاع الحديث عنها فى الفكر المسيحى ثم تبعه بعد ذلك يوحنا الذى زعم بتجسد الكلمة وجعل لـــها مركز الصدارة فى إنجيله، ثم بعد ذلك جعل لها وظائف سرية تقوم بها لأنها هى مقصـد الله الأزلي. وعلى غرار قوله نقسم مفكرى الدين المسيحى بعد ذلك إلى فريقين فريق يؤيد قول يوحنا ويزعم كما زعم فى الكلمة، وفريق معارض رفض هذه الهرطقات ونادى بإنســـانية عيسى وأنه عبد الله ورسوله ولم يكن إلها ولا ابنا للإله.

وقد ذكرنا فى صفحات البحث أن الكلمة بهذا التصور تجعل الديانة المســـيحية ديانـــة وثنية تؤمن بالتعدد. وتجعل الخالق للكون ليس الله وإنما الكلمة فهم بذلك أشركوا مـــع الله إلها آخر – وعبر عنه بكلمة الله هى المرشد إلى الطريق القويم كما أنها النور الذى يقـذف فى القلب. وهى التى ظهرت البشرية من دنس الخطيئة وهذه الفلسفة للكلمة فلسفة باطلـــة مخالفة للدين الذى يقرر الله خالق وواهب ورازق لهذا الكون وللعقل الـــذى ينفـــى حلـــول الحادث بالقديم – أو اتحاد الروحاني بالجسمانى.

هذا والله من وراء القصد وهو يهدى إلى سواء السبيل.

دكتور

سعد خلف عبد الوهاب

مدرس العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بأسيوط

أهم المراجع والمصادر

١ -القرآن الكريم - الأناجيل الأربعة - الكتاب المقدس.

٢ -أديان العالم - حبيب سعيد - دار النشر الكنيسة الأسقفية بالقاهرة.

٣ -الأربعين فى أصول الدين - فخر الدين الرازى - تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

٤ -الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة على الإسلام - د/ على عبد الواحد وافى.

٥ -إظهار الحق للشيخ رحمة الله الهندى تحقيق أحمد حجازى السقا - دار التراث العربى.

٦ -الأعلام قاموس وتراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمتعربين والمستشرقين - خير الدين الزركلى - طبعة ثالثة - دار العلم - بيروت.

٧ -تاريخ الأقباط - زكى شنوده - القاهرة ١٩٦٨.

٨ -تاريخ الأمة القبطية وكنيستها - يتشر - القاهرة ١٩٠٠.

٩ـ تاريخ الفكر الفلسفى فى الإسلام - محمد على أبو ريان - دار المعرفة -بالإسكندرية.

١٠ـ تاريخ الفلسفة اليونانية - د/ يوسف كرم - القاهرة ١٩٦٩.

١١ـ تاريخ الفلسفة اليونانية ولترستيس - ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد - ١٩٨٤ - دار الثقافة.

١٢ـ تفسير إنجيل يوحنا - طبعة القاهرة - متى هنرى - ١٩٦٨.

١٣ـ التفسير الكبير - لفخر الدين الرازى - الطبعة الأولى - دار الكتب العلمية - بيروت.

١٤ـ تهذيب اللغة لأبى منصور محمد بن أحمد الأزهرى - تحقيق عبد العظيم محمود - طبعة القاهرة.

١٥ـ الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لشيخ الإسلام ابن تخطئ - تحقيق على الشيخ صبحى المدنى - مطبعة المدنى.

١٦ـ الجواب الفسيح لما لفقه عبد المسيح – الإمام الالوسى البغدادى – دار البيان العربى.

١٧ـ حاشية على أم البراهين الصغرى – محمد بن أحمد بن عرفه الدسوقى – الطبعة الأخيرة – ١٣٥٨ هـ.

١٨ـ حكمة الصين – أحمد فؤاد شبل – ١٩٦٧ – القاهرة.

١٩ـ خلاصة الأصول الإيمانية فى معتقدات الكنيسة القبطية الأرثوذكسية – حبيب جرجس – وزارة المعارف المصرية – ١٩٦٢م.

٢٠ـ رسائل بولس – الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر.

٢١ـ شرح بشاره يوحنا – وليم بركلى – القاهرة – بدون تاريخ طبعه.

٢٢ـ الصخرة الأرثوذكسية – حبيب جرجس.

٢٣ـ الفصل فى الملل والأهواء والنحل – لابن حزم – تحقيق د/ عبد الرحمن عميرة وآخرين – مطبعة عكاظ.

٢٤ـ قصص القرآن الكريم – عبد الوهاب النجار – دار التراث العربى.

٢٥ـ قصة الديانات – د/ سليمان مظهر – مكتبة مدبولى.

٢٦ـ قصة الحضارة ول ديورنت – طبعة الإدارة الثقافية ١٩٧٣م.

٢٧ـ لسان العرب لابن منظور – دار المعارف.

٢٨ـ محاضرات فى النصرانية – الإمام/ محمد أبو زهرة – دار الفكر العربى.

٢٩ـ الملل والنحل والأعراف – د/ سعد الدين إبراهيم – طبعة ثانية – ١٩٩٤. مركز ابن خلدون.

٣٠ـ الملل والنحل للشهر ستانى – تحقيق عبد العزيز محمد الوكيل – بكليات الأزهرية.

٣١ـ النظم والحضارة الأوربية فى العصور الوسطى – محمد محمد مرسى الشيخ – دار المعرفة الجامعية – الإسكندرية.

٣٢ـ يسوع المسيح فى ناسوته ولاهوته – هانى رزق – القاهرة ١٩٧١.